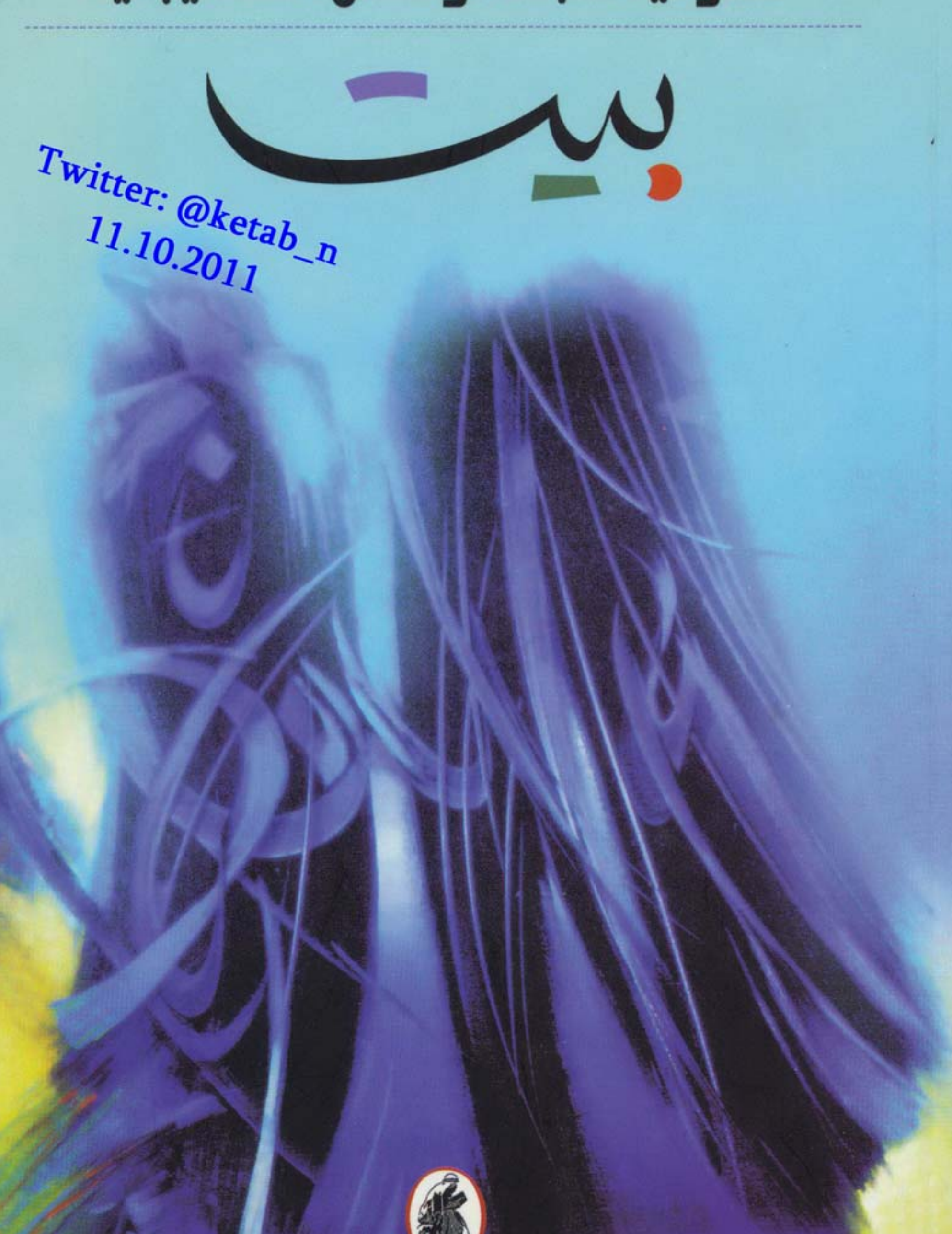
G H A Z I   A L - G O S A I B I

غازي عبد الرحمن القصيبي

بيت



بيت / مختارات شعر ـ نقد أدبيّ
غازي عبد الرحمن القصيبي / مؤلّف من السعوديّة
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢
حقوق الطبع محفوظة



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص. ب : ٥٤٦٠ ـ ١١ ، العنوان البرقي :موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس :٥٦٨٥٥٠١
E - mail : mkayyali@nets.com.jo
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي :
محمد سعيد ®
لوحة الغلاف :
وجيه نحلة / لبنان
الصفّ الضوئيّ :
إسراء العجوة ، عمّان
التنفيذ الطباعيّ :
رشاد برس / بيروت ، لبنان

ISBN 9953-441-30-8



غازي عبد الرحمن القصيبي



بيت



تمهيد

في الصفحات التي تلى ، محاولة متواضعة جداً ، محصورة جداً ، لإرجاع الشعر إلى طبيعته ، تعبيراً عـفـوياً عن تجارب الروح البـشـرية ، وتحـريره من أغلال النقد الثقيلة التي كثيراً ما تغتال أجمـل ما فيه .

هذا جــزاءُ امـرئٍ اقـرانه درجـوا

مِنْ قـبلهِ . . . فـتـمَّنى فُـسحَـةَ الأَجَلِ

الطغرائي

تجربة إنسـانيـة مؤلمة أن يتـمنى المرء أن يطول بقـاؤه ، وتتـحـقق الأمنيـة ، ويموت أصحـابه ورفاقه ، ويبقى وحيداً ، وتعود أمنيته القـديمة وبالاً عليه .

حـدثني الصديق العزيز يوسف الشيـراوي أن أباه ، رحـمـه الله ، كـان في أيامـه الأخـيرة في شبـه غيبوبة . وذات يوم أفاق ونظر إلى يوسف الذي سأله عن حالته فما كان من أبيه إلاّ أن قال : «هذا جزاء أمريء!» ، وعاد إلى الغيبوبة .

ومنذ أيام قليلة كنت أتحدث مع الصديق الأديب الدكتور حسين العمري سفير اليمن في بريطانيا وكنت أبدي اسفي لفراقه بعد أن عُيّن عضواً في مجلس الشورى في اليمن ، مما يعني أنه سيغادر لندن قريباً وأضفت ، مُتحدثاً عن نفسي : «هذا جُزاء أمريءٍ !» . أخرج الصديق ، على الفور ، من محفظته ورقة كُتَبِ عليها البيت : سألته

عن السبب الذي دفعه إلى الاحتفاظ بالبيت في محفظته ، فقال إن قريباً له عُمّر حتى شعر بالوهن فأخذ ، في أيامه الأخيرة ، يردّد البيت . أضاف الصديق أنه خاف أن ينسى البيت فبادر إلى كتابته .

عندما يتحدّث بيت شعر عن تجربة إنسانية يحسّ بها الناس في كل مكان ، يرويه الناس في كل مكان ، وهذا شأن هذا البيت الرائع .

فيا للناس ! كيف غلبت نفسي

على شيء . . ويكرهه ضميري ؟!

عروة بن الورد

يقول الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون في مذكّراته أنه كلما اتخذ قراراً يختلف عن القرار الذي تمليه طبيعته ندم على هذا القرار. وأحسب أن التجربة التي يتحدث عنها نيكسون تجربة مرّت بالناس أجمعين. يشعر المرأ، أحياناً، على نحو غريزي قاطع، أنه يجب أن يتخذ موقفاً معيّناً، وتجبره الضغوط، بمختلف أنواعها، على أن يتخذ موقفاً آخر، فتكون النتيجة الحتمية الندم.

وهذا هو عروة بن الورد، «روبن هود» الجاهلية، يتحدث، بحسرة، عن اضطراره إلى القبول بشيء يرفضه ضميره. ومن أين جاء الاضطرار؟ انظر إلى هذا التلميح البديع : «فيا للناس !». لم يكن شاعرنا بحاجة إلى أن يضيف أن «الناس» هم الذين دفعوه دفعاً إلى القبول بما لا يرضاه ضميره. وهنا فرق من الفروق الكثيرة بين الشعر والنثر : الشعر يومئ ويشير، والنثر يفصّل ويطنب.

حسناً ! إذا كنت واثقاً من سلامة موقفك ، واثقاً من أنك تتبع صوت ضميرك ، فلا تترك لأحد الفرصة في أن يجرّك إلى حيث لا تريد أن تذهب ، وإلا وجدت نفسك ، بعد فوات الآوان ، تردد مع عروة بيته المأساوي هذا !

يـا ويـلـه . . مـن لـم يُـحـبْ

كل الزمان حول قلبه شتاء

أحمد عبد المعطي حجازي

كنا ، الصديق الشاعر عبد الرحمن رفيع وأنا ، ندرس في القاهرة ولا يمر بنا يوم واحد دون أن نكتب قصيدة جديدة أو نكتشف قصيدة جديدة . وكان من رواد بوفيه كلية الحقوق في تلك الفترة الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي ، وكان يكبرنا - والمعذرة من الأستاذ أحمد - بسنتين أو ثلاث . وكان ينشر قصائده في «الآداب» وكنا نتابع ما ينشر بنهم . كنا نحفظ الكثير مما كان ينشر ومن ضمن ما كنا نحفظ هذا البيت (التفعيلي لا الكلاسيكي) .

لا أحسب أن أحمد كان قد بلغ العشرين عندما قال بيته هذا ، ولم نكن ، عبد الرحمن وأنا ، قد بلغنا هذه السن ، ومع ذلك شعرنا ، في سن الربيع والدفء والحرّية ، في سن الانطلاق والمغامرة والخطر ، شعرنا ، نحن الثلاثة ، أن الحياة ، بكل احتفالاتها بنفسها وبالشباب ، تتحول إلى شتاء ، إذا لم تنبض خفقات القلب بالحب الحقيقي .

الآن ، تجـاوزنا ، نحن الثـلاثة ، الستّين ، ولم أر أحـمـد منذ أيام الدراسة في القـاهرة ، إلا أن مـرور السنين لم يمح البيت من الذاكـرة ، ولم يمح التجربة التي يتضمنها من الأعماق . ما أصدقك يا أحمد : «كل الزمان حول قلبه شتاء !» ، أي والله ، «كل الزمان» !

آه ! يـا قـــبلـة أقـــدامـي إذا

شَكَتْ الأقــدامُ أشـــواكَ الطـريقْ

إبراهيم ناجي

في العصور السحيقة السحيقة ، عصور ما قبل التاريخ ، في العصور التي لا يذكر أحد هل وجدت فعلاً أم أنها عاشت في خيال مراهق ، كان هناك شاب شاعر ، يسير بقرب الأهرام ، في ليلة قمراء ، ويرددّ بيت ناجي ، ويلفظ كلمة «قُبلة» بضم القاف ، بدلاً من كسرها .

خُيّل إلى العاشق الحالم أن صديقة مجهولة تعاتبه على عبثه بالبيت :

- قال ناجي قِبلة - بكسر القاف .

- لا ! قالها بضم القاف .

- السياق كله يشير إلى أن المقصود الكلمة بكسر القاف .

- لا ! السياق يشير إلى العكس .

- ماذا تقصد ؟

- ماذا يفيد ناجي أن تتجه أقدامه إليها ، ما دامت اقدامه تعاني شوك الطريق ؟

- يقصد أن اتجاهه نحوها ينسيه الأشواك .

- ألا ترين أن الأجمل أن يقول أن كل خطوة يخطوها نحوها تتحول إلى قبلة - بضم القاف - تزيل تأثير الأشواك ؟

- لم أر أحداً غيرك يروي البيت بهذا الشكل .

- حسناً ! ناجي صديقي الروحي وأنا «ابخص» بشعره .

- «أبخص»؟!! . .

ذهبت الأمسية الخيالية ، والصديقة الخيالية ، ولا تزال الأشواك تدمي الأقدام - بلا قبلة (بضم القاف) تداوي الجراح !

مات لم يَدْرُجْ . . . ولم يَلعبْ . . ولم

يشـهـد الدنيـا . . ولـم يعَـرف أباهْ

عباس محمود العقاد

أبدع العقاد في عدد من المجالات ، منها – دون حصر – الكتابات التاريخية والأدبية والفلسفية والسياسية ، إلا أنه كان يعتبر نفسه ، قـبل كل شيء ، وبعـد كل شيء ، شـاعـراً . وقـد أصـدر عـدداً من الدواوين الضخـمـة أحـسـبـهـا تجاوزت العـشرة . وذات يوم بايعـه طه حسين أميراً للشعراء ، قد يكون فعل هذا لا حباً في علي وإنما بغضاً لمعاوية والعلاقة بين طه حسين والعقاد من التعقيد بحث تحتاج إلى كتاب مستقل ، وليس هذا مجالها .

المهم أن البـاحث في دواوين العـقـاد يخرج بقـرابة ثلاثين – وفي أكثر الحالات أربعين – بيتاً جميلاً . والبيت الذي نحن بصدده واحد منها . يتحدث العقاد عن الحب الذي وُئدِ في المهد – وتشبيه الحب الغائب بالطفل الصغير الغائب ليس فتحاً شعرياً عقادياً . الجميل في البيت هو هذه التفاصيل التي ذهب الحب الطفل دون أن يعرفها : لم

يُقَدّر له أن يحبو ، أو أن يلعب ، ولم يستمتع بمرأى الدنيا حوله .

إلا أن الهزّة الشعرية لا تجيء إلا مع آخر البيت «لم يعرف أباه» . فاجع أن يموت طفل ، أما أن يموت دون «أن يعرف أباه» فتلك فاجعة الفواجع . هذا البيت ، وحده ، يغفر للعقاد مجلدات ضخمة من النظم الموزون المقفى .

وبعد : «لم يعرف أباه» - هذه ثلاث كلمات تحمل الكثير من المعاني . إذا إستطعت ، عزيزي القارئ ، أن تصل إلى ثلاثة منها ، فإعلم أنك متذوق جيد للشعر .

لا تذهب بهدوء   DO NOT GO GENTLE
في تلك الليلة الطيّبة   INTO THAT GOOD NIGHT

ديلون توماس

لا بُدّ أن أعترف أن ترجمتي لهذا البيت - إن جاز لنا أن نعتبر مفردات الشعر الإنجليزي أبياتاً - ليست الترجمة الوحيدة المقبولة. كان من الممكن أن أقول «لا تذهب برفق» أو «لا تذهب بوداعة». و«ليلة طيبة» - كما يعرف من له أدنى معرفة باللغة الإنجليزية - يمكن أن تعني «تصبح على خيرٍ». كان بالإمكان أن تجيء الترجمة مختلفة تماماً :

لا تقل لي «تصبح على خيرٍ ...»

(وتموت) ...

وأنت هادئ ساكن وديع ..

لاتهم الترجمة كثيراً . الشاعر يتجه إلى أبيه المحتضر ، محتجاً على موته بسكينة ، طالباً منه أن يموت وهو يصرخ ، أن يحتج على مصرع الحياة ، أن يرحل وهو غاضب ، ألاّ يعرف الطمأنينة حتّى في

الموت .

هذا موقف يختلف عن مواقف الوداع المألوفة . حتى في الغرب المضطرب يكتب الناس على شاهد القبر «نم في سلام» . إلا أن الشاعر كان إنساناً خارجاً عن المألوف ، عاش حياته القصيرة ثائراً متمرداً ، يسير من حب عاصف فاشل إلى حب عاصف فاشل ، حتى قتله حبه العاصف للكحول .

بيت عجيب بعض الشيء . رجل عجيب بعض الشيء . ولكن أليس من الطبيعي أن يقول الناس العجيبون أشياء عجيبة ؟ والسؤال الأهم : لو قال الشاعر «اذهب بهدوء» هل كانت قصيدته ستصبح واحة من أشهر القصائد في الشعر الإنجليزي الحديث ؟

كـــلانـا ناظر قـــمـــراً . . ولكـن

رأيتُ بعـــينهـــا . . ورأتْ بعـــيني

القاضي عياض

قائل هذا البيت عالم شهير من علماء الشريعة قيل عنه «إمام وقته في الفقه والحديث وعلومهما» . وإن دل هذا على شيء ، فإنه يدل على أن القطيعة المزعومة بين الفقه والشعر لم تجيء إلا مع قوم لا يفقهون شيئاً عن الفقه أو عن الشعر . إلا أن هذا – كله – قضية أخرى .

القضية ، الآن ، هذا البيت . الكثيرون ، عبر السنين ، رددوه وأعجبوا به ، ولكن ماذا يريد شاعرنا أن يقول ؟ بإمكانك ، إذا شئت ، أن تفهم البيت الفهم التقليدي وهو أننا – أنا وهي – امتزجنا نهائياً حتى أصبحت ترى القمر بعيني وأراه بعينها . وبإمكانك ، إذا أردت أن تغرب بعض الشيء ، أن تفهم البيت على هذا النحو : حوّل الحب كلاً منا إلى قمر ، ولما كان القمر لا يرى نفسه بنفسه ، فقد إضّطررت إلى الاستعانة بعينها لرؤيتي ، واضطرّت هي إلى الاستعانة بعيني

لرؤية نفسها . وبوسعك ، إذا عنّ لك ، أن تفهمه على النحو الذي أفهمه أنا : كان القمر في السماء ، ولكن لم أره مباشرة ولم تره مباشرة ، رأته منعكساً في عيني ، ورأيته منعكساً في عينها .

لك أن تختار بين كل هذه المعاني ولك أن تضيف معنىً رابعاً أو خامساً . للشعر ، وللقمر ، وللحب ، أكثر من وجه واحد !

وقـفتَ ومـا في الموت شكٌ لواقفٍ

كـأنّك في جَـفن الردى . . وهو نائمُ

المتنبي

شُرّاح المتنبي - بلا إستثناء تقريباً - فهموا هذا البيت الجميل على هذا النحو القبيح : لقد كنت شجاعاً ، يا سيف الدولة ، كأن الموت قد أغمض عينه فلم يعد يراك ، وكيف يراك وأنت داخل جفنه وهو مطبق جفنه ؟

المعذرة أيها «ا لأستاذ» - والتعبير للصديق الطيب صالح - ، المعذرة يا «عمنا الضخم» - والتعبير للشاعر محمد العلي - إغفر لشرّاحك فإنهم ، أحياناً ، يهرفون بما لا يعرفون ويتحدثون عن ما يجهلون .

المعنى ، يا قوم ، انك كنت شجاعاً رغم يقينك القاطع أنك ستموت ، وهل هناك يقين أعظم من أن يأخذك الموت ويطبق جفنه عليك؟!

إذا قلت لأجبن خلق الله ، اذهب فإن الموت نائم لا يراك ، فسوف

يتحوّل ، فوراً إلى أشجع خلق الله . كيف يخاف من الموت من يعتقد أن الموت لا يراه ؟! وأي نوع من أنواع الشجاعة هذا ؟! وأي ضرب من ضروب المديح هذا ؟!

حسنا! سيف الدولة - الذي كان يتذوق الشعر - فهم المقصود ، أما سادتي الشرّاح العظام فليس لي معهم من كلام سوى بيت آخر من أبيات «الأستاذ» :

ولكـــن تأخـــذ الآذان منـــه

على قـدر القرائــح والعلـــومِ

ألا ليت البـــلاد لهـــا قلوب

كـمـــا للناس ، تنفطر التـيـاعـا

أحمد شوقي

وارحمتاه لأحمد شوقي ! يُنصّب أميراً للشعراء ، يوماً ، ويجيء من ينفي عنه صفة الشعر كليّة ، في يوم ثان . وما زال هذا الشاعر يتأرجح بين غلوّ المعجبين وغلوّ الكارهين ، بين الذين يصرّون أنه ما للشعراء من أمير سوى شاعرالأمير ، وبين الذين يرون أن شعر شوقي نظم سقيم في المناسبات مع استثناءات لا تكاد تذكر .

حسناً ! بدأ غلوّ المحبين يخفت ، وبدأ غلوّ الكارهين ، يخف ، وعندما تهدأ العواصف ، وكل العواصف تهدأ بعد حين ، سيبقى شوقي شاعراً حقيقياً ، لا أقل من هذا ، ولا أكثر .

حديثي الآن ، ليس عن شوقي : حديثي عن بيت واحد من أبياته . تنفطر قلوبنا لوعة ونحن نغادر مدينة أحببناها وأحببنا من فيها ، وتسيل الدموع في الميناء أو في محطة القطار أو في المطار ، وتنهمر الدموع بصمت في الداخل ، والمدينة تقف ، بكل جمالها ،

بكل كبريائها ، بكل إغرائها ، دون أن تشعر بالدموع التي تسيل أسى لفراقها . أليست هذه قسمة ضيزي ؟! ألم يكن الوفاء يتطلب من المدينة ، أن تفعل شيئاً ، أي شيء ، يدلّ على أنها أحسّت بغياب هذا الذي يودّعها وقلبه ينفطر ؟!

سمى أحمد عبد المعطي حجازي ديوانه الأول «مدينة بلا قلب» ، وغضب من غضب ، والحقيقة أنه لم يكذب . وكل المدن ، رغم ، أمنية شوقي الدامعة ، غابات من الأسمنت والحديد بلا قلوب !

هيهــــات تفلــتُ من يـــــدي أبـــدا
ديوانَ شعـــــريَ ضمّهـــا ضمّـــــا

أحمد الصافي النجفي

على مقاهي بيروت ودمشق وبغداد في الخمسينات والستينات ، كان يتردد شيخ نحيل زري المنظر ، كثيب الهيئة ، يرتدي نظارة طبية سميكة ، ورداءاً عربياً مُمزّقاً ، يمر به الناس فيزدرونه ، ولا يعرف أحد أنه شاعر من أكبر شعراء العرب في القرن العشرن ، هو أحمد الصافي النجفي .

والشعراء يتعاملون مع دمامتهم بوسيلتين مختلفتين ، إما الإغراق في النرجسية ، أو الإغراق في السخرية من الذات . وشاعرنا طرق البابين ، ففي شعره تضخيم مرضي للذات ، وفي شعره سخرية لاذعة من الذات .على أن الشاعر ، مهما كان دميماً ، يستطيع أن يهرب من دنيا الواقع التي لا تحبه فيها امرأة ، إلى دنيا الشعر حيث تحبه كل امرأة . وشاعرنا لم يكن بدعاً بين الشعراء حين حوّل الحبيبات الهاجرات ، في شعره ، إلى حبيبات ملهمات عاشقات .

إلا أن شاعرنا ، في هذا البيت ، لم يكتف بذلك . لم يكتف بتحويل المرأة التي لا تحبه إلى امرأة تذوب فيه هياماً ، بل جعلها سجينة يمتلكها ويغلق عليها الباب ، ويرمي المفتاح . هذه السجينة «هيهات» - أي من المحال - أن «تفلت من يده» - والإفلات لا يمكن أن يعني إلا الهرب من سجن حقيقي . وهذا الإفلات لن يتم «أبداً» - ولا ضرورة «لأبداً» بعد «هيهات» ، ولكنه تأكيد المؤكد . وديوان شعر صاحبنا بدل أن يكون حديقة ناعمة تحتوي العاشقة بين ورودها وزهورها ، كما هو المفترض ، يصبح قفصاً حديدياً «يضمها ضمّاً» . مرة أخرى ، يجيء المفعول المطلق لتأكيد المؤكد .

عاطفة وحشية ، حقاً ، هي التي يعبر عنها شاعرنا في هذا البيت ، عاطفة لا نبالغ إذا اعتبرناها «إغتصاباً شعرياً» . من حسن حظ الشاعر أن المحاكم لا تحاسب على هذا الاغتصاب الوهمي ، كما تحاسب على الاغتصاب الحقيقي ، وإلا لقضى شاعرنا في السجون وقتاً أكثر مما قضاه في المقاهي .

لم يبــق للجــور في أيامـهـــم أثرٌ

إلاّ الذي في عيون الغيــد من حَــوَرِ

شاعر اندلسي

سامح الله هذا الشاعر الأندلسي المجهول ، فقد أضاع علينا ساعة ثمينة قضيناها نناقش بيته هذا ، بدلاً من أن نتمتع بجمال الطبيعة الأخّاذ في أبها .

وتفصيل ذلك أننا ، الدكتور عبد العزيز الخويطر والدكتور سليمان السليم ، وكاتب هذه السطور ، كنا ، ذات يوم ، في أبها الحسناء ، في معية جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ، رحمه الله وكنا في سيارة واحدة عندما خطر لي أن أعاتب الدكتور الخويطر على المدح العظيم الذي أسبغه على هذا البيت في مقال له ظهر في تلك الفترة ، وقلت أنني - بصراحة - لم أفهم البيت ، ولا أستطيع أن أعجب بشيء لا أفهمه . ودافع أبو محمد بحماسة خويطرية مشتعلة عن البيت .

دار نقاش طويل بيننا ، نحن الثلاثة ، حتى توصلنا إلى ما يشبه الإتفاق أن الشاعر يزعم أن الجور قد أختفت آثاره في أيام ملوك

الطوائف الممـدوحين ، حـتى لم يبق هناك أي جـور سـوى ذلـك الذي تمارسه العيون الحوراء .

حسناً ! هذا غلوّ لا أسيغـه من ناحـيـة . واعـتـبـار جـمـال العيـون الحوراء - ولا حيلة للمرأة في جمال عيونها - ظلماً مغالطة لا أقبلها من ناحية ثانية . حاول شاعرنا التغزل في ممدوحيه وفي الحسان فلم يوفق في أي من هدفيه - غالى في المدح وتجنى على الحسان . المعذرة من جديد لأستاذنا الدكتور الخويطر ، والتحية للدكتور السليم الذي آثر السلامة فوقف على الحياد ، ولم يصفق للبيت ولم يستهجنه ، وللقراء الكرام الرأي الأخير .

تنظّمنُــا الأيــام شِـعــراً وإنمــا
تــردّ المنايــا مـا نظمــن إلى النثــرِ

معروف الصافي

يبدو أن للشعر، في كل الحضارات، سحراً، يجعله يختلف، جملةً وتفصيلاً، عن النثر، حتى في اللغة الإنجليزية «الباردة» يصف الناس الكلام «البارد» بأنه نثري PROSAIC . أما في اللغة العربية، أم الشعر والشعراء، فالقضية مختصرة ببساطة شديدة في شطر شوقي الشهير «أنتم الناس أيها الشعراء» . وماذ عن غير الشعراء ؟ من الأفضل أن نتجاهل هذا السؤال ً.

على أن الهجوم القاسي من الشعراء على النثر (والناثرين) يبلغ ذروته في هذا البيت للشاعر معروف الرصافي الذي كان، رغم هذا الهجوم العاصف، يكتب كتابات نثرية لا بأس بها . الشعر، في هذا البيت، حياة - أما النثر فموت، والشعراء بالضرورة، هو وحدهم الأحياء، أما الناثرون فهم، بمفهوم المخالفة، من الأموات .

حسناً لعلّني الشاعر (أو الشويعر ً) الوحيد في التاريخ الذي كان

ولا يزال يقول أن الشعر ، من حيث المبدأ ، لا يتمتع بأي ميزة على النثر . هناك أطنان من النظم السقيم ، الملقب شعراً ، وهناك الكثير من النثر الجميل الذي يفوق أي قصيدة في روعته ، وتأثيره ، وفي «الهزة» الشهيرة التي لا بُدّ أن تصحب الشعر .

هل لنرجسيات الشعراء نهاية ؟ لا . يهاجمون الدنيا كلها ويشتكون ، بعد ذلك ، من الحسّادِ .

كـــم أتمنـــى لـــــو بقيـــــت . .

لـو أن الســـمـــاء أمطرت . . وأمـطرت . . وأمطرت

من قطعة هايكو يابانية

لمقطوعات الهايكو اليابانية في نفسي مكانة خاصة ، رغم أنني لا استطيع أن أقرأها إلا مترجمة إلى الإنجليزية . وقد بلغ من إعجابي بها أن ترجـمت عـدداً منها إلى العربية ، في أكـثـر من كـتـاب . ولا أدري مدى الصلة التي تربط الترجمة عن الترجمة بالأصل ولكني أتمنى أن تكون أعـمق من الصلة التي بين شـاعـرنا القـديم «وأبناء أخيـه وأبناء عمه» .

في شعر الهايكو ، تختزل المشاعر والتجارب الإنسانية المعقدة في كلمات قليلة جميلة ، مكوّنة ، ما يسميه الناقد الأديب الليبي خليفة التليسي «قصيدة البيت الواحد» .

عندما تكون الكلمات قليلة ، لا بد أن يفتح القارئ أبواب الخيال للوصول إلى مـقـصـد الشـاعـر ، أو في هذه الحالة ، الشـاعـرة . ترى لماذا تمنت شـاعـرتنا لو أن الســمـاء أمطرت . . وأمـطرت . . وأمطرت ؟ هل

السبب هو أن المطر سيعوق رحيل حبيبها ؟ هذا هو المعنى المتبادر إلى الذهن . أما أنا فأفضّل أن أتصور هذه الشاعرة اليابانية وقد تقمصتها روح بدوية تعشق المطر ، فتمنت أن تجمع بين حبيبها الرجل ، وحبيبها المطر : يمطرها الرجل حبّاً ، وتمطره حبّاً ، والسماء تمطر . . وتمطر . . وتمطر .

أواهٌ لــو عـــرف الشبـــابٌ

وآهٌ لــــو قـــدر المشـــــيبُ

إسماعيل صبري

الأبيات عن الشيب والمشيب في تراثنا العربي لا تُعد ولا تُحصى ، وفيها ما هو غاية في الروعة ، وفيهاما هو وسط ودون الوسط ، ولكني لا أعتقد أن في هذا التراث الضخم كلّه بيتاً كهذا استطاع بكلمات قليلة موجزة أن يضع أصبعه على موضع الألم : الشباب لا يعرف ، والمشيب لا يستطيع .

قبل سنوات أنتجت هوليود فيلماً ظريفاً اسمه «العودة إلى المدرسة» ، وفيه يرجع مليونير كهل طالباً جامعياً ، ويصوّر الفيلم كيف استطاع الطالب أن يستغلّ معرفة الكهول (وثراءهم في هذه الحالة) فحقق من الانتصارات ، الدراسية والعاطفية ، ما لم يكن أي من زملائه الشباب قادراً على تحقيقة .

أحسب أن إسماعيل صبري ، لو شاهد الفيلم ، لطالب بحق من حقوق الملكية الفكرية ، التي طُبعت في أمريكا ، والتي تفرضها على

بقية العالم ، بقوة السلاح ، منظمة التجارة العالمية . كان إسماعيل صبري من المعجبين جداً بمي زيادة ، شأنه شأن كل أدباء جيله ، والسؤال الذي يراودني كلما قرأت هذا البيت هو : تُرى هل شعر إسماعيل صبري بعجز الشيوخ عندما رأى نفسه أمام الصبية الجميلة التي لا تعرف . . (كم يحبها) ؟

لا أعرف الجواب !

لكن فينا وإن شيبٌ بَدا وطرٌ

وليس فيكن بعد الشيْب مِن وطرِ

أبو دلف العجلي

لا بدّ أن نبدأ بعتاب شاعرنا «الفحل» على أنه تحدث باسم النسوة دون أن تمنحه واحدة منهن ، حسب علمنا ، مثل هذا الحق . ولا بد أن نلتمس له العذر على ما قاله في الشطر الثاني ، فلعله كان يعبّر ، صادقاً ، عن أحاسيسه الشخصية ، وأحاسيس من حوله من الذكور . ولا بد ، على أي حال ، أن نشكره من الأعماق فقد أعلن بوضوح وصراحة ، عمّا يعتمل في معظم النفوس الشرقية ، ولا أقول العربية ، من أوهام بالية عن الجنس .

ما قاله شاعرنا «الفحل» غير صحيح ، جملةً وتفصيلاً . لم تثبت دراسة علمية واحدة ، حسب علمي ، أن جاذبية الرجل تبقى بعد سن معينة ، أما جاذبية المرأة فتزول بعد هذا السن . وأنا على ثقة أن عمنا أبا دلف العجلي لو زار كوكبنا هذه الأيام ورأى صوفيا لورين وجون كولنز – أو حتى البقرة الضحوك اليزابيث تايلور – لظهرت له

«أوطار . . وأوطار» - الأغلب أنها من طرف واحد ، طرفه هو - ولأكل كلماته . . كلمة كلمة ، مع حبة أو حبّتين من «الفياجرا» التي لا تحتاج إليها أي امرأة .

حكمت المحكمة على الشاعر أبي دلف العجلي بالإحالة إلى الدكتور عبد الله الغذامي لينال حظه من التقريع الثقافي النقدي ، جزاءً له وردعاً لأمثاله من الفحول الذكوريين الشوفينيين .

ليالي أنتَ لها موطن

وإذ هي أفضل أوطانكا

عمر بن أبي ربيعة

لا تعجبني شخصية عمر بن أبي ربيعة ، ولا تعجبني الأغلبية الساحقة من أبيات شعره . شخصيته تذكرني بالشباب المائع ، المتسكع في محلات التسوق ، في مدننا السعودية ، يزعج أي امرأة عابرة ، حتى يقيض الله للمرأة رجلاً من رجال الحسبة يحميها من الشر . هل هناك إنسان عاقل يقضي معظم أيامه في مطاردة «الحاجات»؟! ولا يعجبني معظم شعره . يمكن أن أتحمل قصيدة أو قصيدتين من غزل الشاعر النرجسي ، أي شاعر نرجسي ، في نفسه أما في شعر صاحبنا فالديوان من قصيدته الأولى إلى قصيدته الأخرى ملحمة غزل لا في «الحاجة» المسكينة المطاردة ولكن في شاعرنا (الحليوه الصايع !) .

هذا البيت من الاستثناءات القليلة التي تجذبني في شعر هذا «الفتى القرشي» .

«المرأة هي الوطن» ، «عيناك لي وطن» ، «أنت الوطن» - كل هذه معان ترددت في العقود الأخيرة في أدبنا العربي ، شعراً ونثراً ، ولكنني أحسب أن أحداً لم يسبق الفتي القرشي إلى إعلان نفسه وطناً لحبيبته - وإعلان حبيبته وطناً له .

يبقى سؤال لئيم يرفض أن يذهب . الشاعر ، في هذا البيت موطن الحبيبة (الوحيد) ، أما الحبيبة فهي «أفضل» أوطان الشاعر ، أي أنها مجرد واحدة من أخريات . ترى هل نلوم الوزن والقافية ، أم نلوم النرجسية الشهيرة ؟ أرى ، في هذه الحالة بالذات ، أن النرجسية بريئة !

وافتضاحي فيه .. ما أطَيبَه !

كان ما كان .. ويدري من دَرى

البهاء زهير

من سلبيات الشخصية العربية ، وهذا بدون شك ، تعميم مُخلّ ، أنها لا تهتم بالفعل نفسه بقدر ما تهتّم برد فعل الناس نحوه . لا يهم أن ترتكب ذنباً ، المهم ألا يعرفه الناس . ولا يهم أن تكون بخيلاً ، المهم أن تكون ولائمك التي يشهدها الناس فاخرة . ولا يهم أن تكون مريضاً ، المهم أن يعتقد الجميع أنك في تمام الصحة . وهلّم جرا .

كان العرب ، في الجاهلية ، لا ينفرون إلا من الذنوب الظاهرة ، أمّا التي ترتكب في السر فلا تعتبر ذنوباً لأنها «لا تسقط المروءة» . وجاء القرآن الكريم حاسماً في تحريم الفواحش «ما ظهر منها وما بطن» . إلا أنه يبدو أنه في نفوسنا ، أو في نفوس بعضنا ، شيئاً من هذا الإرث الجاهلي الذي لا يخاف الله بقدر ما يخاف «كلام الناس» .

والبهاء زهير ، في هذا البيت الثوري ، يتمرّد على هذا الموقف . الفضيحة ، التي يخاف الجميع منها ، تجيء في هذا البيت كالحسناء ،

ما أطيبها ! . والخبر الذي يتمنى الجميع أن يظل مطوياً ، يودّ له البهاء زهير أن ينتشر . والبهاء ، في ثوريته هذا ، لا يستثني أحداً : يدري من درى !

اللهم اكفنا شر المجاهرة بالمعصية ، وارزقنا ، اللهم ، التوبة النصوح من المعاصي «ما ظهر منها وما بطن» ، اللهم واغفر للبهاء زهير أنه كان أول من تبنّى «صحافة الفضائح» التي تفشت تفشي الوباء في كل مكان في أيامنا هذه .

وكنتُ وايّاهـــا سحابَــة مُمحـلٍ

رجاهــا فلمـا جاَوزتَــه استهلّـــتِ

كثير

لا تستطيع أن تفهم هذا البيت ، إلا إذا أغمضت عينيك ، وتصورت نفسك في صحراء مقفرة ، تكاد تموت عطشاً ، وتبصر سحابة من بعيد ، وتنتظر إليها ، ويراودك الأمل في الحياة بعد أن وطنت نفسك على الموت . وتقف ، تنتظر أن تمر السحابة فوقك ، وتهطل وتهطل ، وتشرب أنت وتشرب ، وتغادر السحابة بعد أن تكون أنت قد ارتويت ، والأرض قد ارتوت ، وتتركك على موعد جديد مع الحياة . وتجيء السحابة ، متخمة بالمطر ، ثقيلة بالحياة ، جميلة كالأمل ، وتعبر فوقك ، ولا تتوقف ، تستمر مسرعة ، لا تحسّ بهذا الذي يموت ظمأً على الأرض ، ولا تبالي بمأساته ، تستمر في سيرها ، وحين تبتعد ، تبتعد كثيراً حتى لا تكاد تبين ، تبرق وترعد وتمطر . . وتمطر .

يا للموقف ! لا تكمن المأساة في رفض السحابة ان تقف عند الظامئ الذي يموت . تكمن المأساة الحقيقية في أن السحابة ، قرّرت ،

بعد أن تركت الظامئ البائس لقدره المحتوم ، أن تعطي ما تملك لمن لا يستحق . ترى ماذا فعلت الحبيبة ليجيء هذا البيت الدامي ؟ عند من توقفت بعد أن هجرت شاعرنا ؟ وماذا أعطت هذا الذي توقفت عنده ؟ الجواب في بطن السحابة !

أولادَنا ! أنتم لنا فِتنٌ

وتغادَرون . . فأنتمُ مِحنُ

ابن الرومي

كان إبن الرومي شاعراً بائساً بكل ما تحمله كلمة بؤس - وبعض ما لاتحمله - من أبعاد . كان دميماً ، سخر من قبحه في أبيات غاية في الجمال . وكان فقيراً ، يتاجر بماء وجهه تجارة تطوّقُه بالذل والمسكنة ليل نهار . وكان متطيراً ، يقضي في بيته أياماً طويلة حتى لا يمر به من يتشائم منه . وكان هجاءً بذيئاً ، والهجاء البذيء - دائماً وأبداً - يعبر عن عقدة نقص كامنة في العقل الباطن (وربما الظاهر أيضاً) .

ومع ذلك كله ، لا تكاد تجد في شعرنا العربيّ قصيدة مؤثّرة كقصيدة ابن الرومي في رثاء ابنه . ولا تكاد تجد في شعر الحب العربي نبضات شبيهة بتلك التي تراها تبرق كالنجوم ، في الأفق الملبّد بالمدائح والأهاجي . للمرء أن يقول عن هذا الشاعر ما يشاء ، ولكن أحداً لا ينكر أن عاطفته كانت حادة كالسيف ، متدفقة كالطوفان ، تتحول ، حين يفسح لها المجال ، إلى شعر يحرك أعمق الأعماق .

هناك عـدة مـواطن للجـمـال في هذا البـيت . هناك ، أولاً ، تلك اللفتـة الإنسانية المؤثرة : «أولادنا !» . لـم يـتكلم الشاعر عن نفسه أباً لولدين أو ثلاثة بل تكلم باسم الآباء جميعاً موجّهاً كلامه إلى الأبناء كـافـة . وهناك ، ثانيـاً ، هذا الغـمـوض الموحي في كـلمـة «تغـادرون» . المغـادرة يمكن أن تكون من منزل إلى منزل ، أو من حيّ إلى حيّ ، أو من دار الفناء إلى دار البـقـاء ، وتبـقى ، في الحـالات كلهـا ، مـغـادرة موجعة . وهناك ، ثالثاً ، المفارقة بين الفتنة ، بكل مباهجها ، والمحنة ، بكل مـواجـعـها . والشـعـراء العـرب ، بالمناسـبـة مـفـتـونون ، كـقـرّائهم ، بالمفارقات .

إلا أن موطن الجمال الحقيقي في البيت ، وهو ملمح لا يتّضح إلا بعد القراءة المتأنية ، يكمن فـي أن ابن الرومي كان يدرك ، كما يدرك كل أب ، أنه لا فـرق ، هنا ، بين الفـتنة والمحنة ، فـالفـتنة امـتـحـان ، والمحنة فتنة .

ويا ليـــت أن الله إذْ لـــم أُلاقِهـــا
قضى بيْــن كل اثنيـــنِ ألاّ تَلاقَيـا

حفص العليمي

غُسلت أدمغتنا ، في المدارس الثانوية ، فأصبحت تُفضّل أشعار الإيثار على أشعار الأنانية . لا أعتقد أن أحداً ، من جيلنا على أية حال ، لم يستمع ، ذات يوم إلى مدرس اللغة العربية يشرح له كم كان المعري عظيماً ونبيلاً حين رفض أن تهطل على أرضه سحائب «ليس تنتظم البلادا» ، وكم كان أبو فراس أنانياً - ولئيماً ! - حين قال «إذا مت ظمآناً فلا نزل القطر !» .

قلت ، وأقول ، إن الباحث عن الأخلاق السامية الكريمة يجب أن يطلبها في مظانها ، ويتعلمها من القادرين على تعليمها ، أما الشعر فهو منجم للتجارب الإنسانية ، النبيل منها وغيرالنبيل ، وليس للقارئ أن يبحث عند الشعراء عن المثل العليا والمبادئ السامية ، فهذه توجد عند الأنبياء والصدّيقين والصالحين ، ولاتوجد عند الذين «يقولون ما لا يفعلون» .

حسناً ! أليس من حق شاعرنا حفص العليمي أن نهنئه على صراحته التي تضمنها بيته الدامع هذا ؟ أليس من حقه أن نقول له أننا جميعاً شعرنا ، خلال موقف أو آخر ، شعوره ولكننا جبنا عن التعبير عنه ؟

الشعر يا قوم ليس فلسفة إنسانية ، ولكنه تجربة إنسانية . لا تنسوا هذا وأنتم تقرؤونه – وتحاكمونه !

«كم مرّ بي فيك عيشٌ لسَت أذكره

ومرّ بي فيك عيشٌ لستُ أنساهَ

حافظ إبراهيم

كان من سوء حظ حافظ إبراهيم أنه عاش في زمن أحمد شوقي ، كما كان من سوء حظ عدد من الشعراء أنهم عاشوا في عصر المتنبي . ظل شوقي وحافظ فترة تمتد من مطلع القرن العشرين الميلادي إلى عشريناته ، فرسي رهان ، وكانت المقارنة بينهما تميل ، حيناً ، لصالح هذا وتميل حيناً لصالح ذاك . إلا أن شوقي خلال العقد الأخير من حياته انطلق فجأة ، كما يفعل الحصان الفائز في نهاية الشوط ، مخلّفاً لحافظ الكثير من الغبار . لم يعد أحد يشك أن شوقي فاز بالنقاط ، في «الأندلسيات» وما بعدها من قصائد ، وبالضربة القاضية ، في المسرحيات الشعرية . وإذا كان شوقي قد ظفر بالغنيمة الكبرى ، لقب أمير الشعراء ، فإن حافظ خرج من المولد بكثير من الحُمّص ، متوّجاً على شعراء مصر ، حين حصل ، دون أن يمنحه أحد ، على لقب «شاعر النيل» .

هذا البيت من أبياتي المفضّلة منذ أن قرأته وأنا مراهق . وإعجابي بالبيت يحيّرني . لا يوجد فيه شيء من مقومات الجمال «التقليدية» . لا يوجد معنى عميق ، ولا توجد عاطفة مشتعلة ، ولا توجد كلمات ملونّة . بإختصار ، لا يوجد ذلك الشيء المجهول الذي يدخل بيتاً ما فيجعله من «الشوارد» أو من الأبيات «الطائرة» .

البيت صادق تقريري إلى حد النثرية ، وقد قاله الشاعر حين مرّ بمنزل كان يسكنه في صباه . لم يبك ولم يستبك ، ولم يتفجر دموعاً وحنيناً . اكتفى بإيراد الحقيقة ، ولا شيء غير الحقيقة . بعض ما مرّ به في المنزل لا يستحق أن يذكر ، وبعض ما مرّ به لا يمكن أن ينسى .

ترى متى يسمح لنا سادتنا النقاد العرب بأن نعتبر الصدق التقريري المباشر سمة من سمات الجمال في الشعر ؟

أمكّــنُ عاشقــي من صحْــن خدّي
وأعطــي قبلتــي مَــنْ يشتهيهــا

ولاّدة

خلال مكالمة من مكالماته الهاتفية الأدبية ، وكانت تتكرر ، بين الحين والحين ، سألني الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز ، رحمه الله ، عن رأيي في هذا البيت ، وهل من المعقول أن تكتبه ابنة الخليفة المستكفي .

تعلّمتُ من السلف الصالح أن «لا أدري نصف العلم» ، وأن «من قال لا أدري فقد أفتى» ، ولهذا أخبرته ، صادقاً ، أنني لا أعرف عن ولاّدة إلا ما كتبه عنها ابن زيدون ، ولما كنت أجهل خفايا شخصيتها جهلاً كاملاً فإنه يستحيل عليّ أن أجزم أنها قالت ، بالفعل ، بيتاً كهذا أو لم تقله .

وأضفتُ أن المعلومات التاريخية الدقيقة لا تسعفني ولكن البيت الذي سبق هذا البيت قد يسعف . إمرأة تقسم بالله أنها «تصلح للمعالي» ، وتباهي أنها تمشي «مشيتها» أي مشتيها المتباهية المتبخترة ،

وتزيدنا أنها «تتيه تيها» . إمرأة هذا شأنها ، كيف يمكن أن تتحول في غمضة عين إلى امرأة تمنح قبلتها «من يشتهيها» ، وهذا كرم حاتمي لم يعهد حتى عند بنات الليل اللواتي لا يمنحن القبلة «من يشتهيها» بل من يدفع ثمنها .

قد تكون ولاّدة قالت البيت الأول ، وربما تكون ولاّدة قالت البيت الثاني ، ولكن التحليل «البنيوي» للبيتين يقودنا إلى أنه من المستحيل على من كتبت البيت الأول أن تكتب البيت الثاني ، وفوق كل ذي علم عليم .

ما أنا صانعٌ بخمسَة عشرٍ ؟!
شهَد الله أنّه تعذيبُ

نزار قباني

جاءت هذه المراهقة الحمقاء ، فتاة الخامسة عشرة ، تتحدى رجولة شاعرنا ، وبدلاً من أن توقظ فيه نزوات الفحولة أيقظت مشاعر الأب ، الذي تذكّر ، على الفور ، ابنته ، «بتقاطيعها» ، «ولين صباها» ، «وفمها الطفل» . ما كان من شاعرنا إلا أن طلب من هذه الصغيرة الطائشة أن تحمل حقيبتها المدرسية وتعود من حيث أتت . ولم يكن الشاعر حين كتب القصيدة قد تجاوز الثلاثين ، إن كان قد تجاوزها ، إلا بسنة أو سنتين .

ماذا حدث بعد ذلك ؟ الطفلة التي ذهبت مطرودة من حضرة الشاعر بعد أن تلقّت حصّة من التوبيخ تكفيها عمراً كاملاً قرّرت الانتقام . عادت بعد أن أتقنت فنون المكياج ، وقصّت شعرها «الآجرسون» ، واستثمرت مصروف جيبها في كعب عال ، ولبست فستاناً قصيراً . باختصار ، رجعت متقمّصة جسد «لوليتا» وروحها ،

وهمست لشاعرنا بغنج : «صار عمري خمس عشرة . صرت أحلى ألف مرّة» . تحول الفم الطفل إلى فم شبق ، وقام شاعرنا يتأبط «لوليتا» . ويصحبها إلى قاعة الرقص ، ويسمعها «كلمات ليست كالكلمات» .

ما الذي حدث ؟ هل انفجرت ثورة في الجينات حولّت مراهقة الخامسة عشرة إلى امرأة ناضجة مثيرة ؟ لا ! كل ما حدث أن شاعرنا لم يعد في الثلاثين ، كما كان أيام القصيدة الأولى .

يا للمصير المرعب ! نكبر وتصغر قيمنا ومثلنا ، وحتى أحاسيسنا بالجمال ! .

تشتــاق أيّارُ نفـــوس الـــورى

وإنمــا الشـــوقُ إلـــى وردْهِ

المعرّي

هذا البيت البسيط الواضح الذي يبدو أبعد ما يكون عن العمق أو الفلسفة يضع المتأمّل أمام أسئلة عميقة تدخل في صميم الفلسفة . تُرى لماذا نحبّ الأشياء التي نحبها ؟ لماذا نحب المدن التي نحبها ؟ لماذا نحب الأشخاص الذين نحبهم ؟

هل نحب المناصب لأنها تتيح لنا فرصة الخدمة والتضحية ، أم نحبـها لأنها منصّات للانطلاق نحو المجد (ومن الأفضل أن نترك معنى المجد غائماً بعض الشيء) . هل أذوب شوقاً إلى القاهرة لأني اتطلع إلى زيارة المتحف المصري أم لأن هناك شخصاً (ولندع الهوية غـائمـة بعض الشيء) ينتظرني في القـاهرة ؟ ولماذا أحب فـلان الفلاني؟ هل لأنه رجل مثقف يمتاز بخفّة الظل . أم لمواهب أخرى (تبقى بدورها غائمة بعض الشيء) ؟ الأسئلة تتعلق ، في جوهرها ، بطبيعة الحب . هل هو انجذاب روحاني عاطفي لا يُفسّر ولا يُعلل ، أم

أنه انسياق مع غرائز يعرفها الجميع ، والفرويديون بصفة خاصة ؟ من الواضح ، أن سجين المحبسين ، وكان رأيه في الطبيعة البشرية رديئاً جداً ، يتخذ موقفاً حاسماً في هذه المسألة حين يعلن أن حب «الورى» هو ، في حقيقته حب مصلحة .

الورد كلمة جميلة جداً ، ولكنها ، هنا ، تعبر عن مصالح كثيراً ما تكون بعيدة كل البعد عن الجمال . هل يمكن أن يشتاق أحد «آيار» دون أن يشتاق «ورد آيار» ؟ هناك قلة قليلة من البشر قادرة على هذا الحب البريء ، وصاحبنا ، سجين المحبسين ، رغم هذا البيت ، ورغم رأيه السيئ في «الورى» ، كان من هذه القلة القليلة .

وليس يشفيني سوى نهشةٍ

من قطعةٍ .. من كِبد بوابِ

ابن الحجاج

«معالي الوزير في لجنة وزارية» . «سعادة الوكيل مجتمع مع معالي الوزير» . «سعادة المدير في مكتب سعادة الوكيل» . هل هناك مراجع واحد لا يصطدم ، يومياً ، بهذه العبارات التي لا يرددها «بواب» بل موظف كبير ، ذو مرتبة كبيرة ، ونفوذ أكبر ، وأي نفوذ أعظم من نفوذ الشخص الذي يستطيع أن «يسمح» أو «يحجب» ؟

عبر تاريخنا وربما في كل تاريخ ، كان للرجل المسيطر على الباب وضع سياسي خاص ، يعطيه قوة سياسية خاصة ، وفي تاريخنا ، بالذات ، كثيراً ما كانت سلطة «الحاجب» تفوق ، بمراحل ، سلطة «الوزير» .

شاعرنا ابن الحجاج كان من الفقراء البائسين . وكان يتمتع بخفة دم نادرة . يكاد شعره ، بأكمله ، أن ينقسم إلى نوعين : الأول في هجاء بؤسه ، والثاني في هجاء المتسببين في هذا البؤس . ويأتي في

مقدمة المذنبين «البواب» الرهيب الذي يحول بين الشاعر المسكين ومصدر رزقه الوحيد . هذا البواب أذاق شاعرنا من صنوف المذلّة ما جعله يتمنى هذه الأمنية الغريبة : أن ينهش كبد البواب نهشاً !

أقترح أن يقوم السادة مدراء المكاتب بتعليق هذا البيت على الجدار أمامهم ، حتى يدركوا مدى الخطر الذي يحيق بأكبادهم حين يضيق أحد المراجعين ذرعاً بالهوان اليومي المتكرّر !

وكُنـــتِ جـمـيلـــة . . كـالأرضِ . .
كـــالأطـفـــالِ . . . كـــالفُـــــلٍّ

محمود درويش

عـهدنا الحبيبة ، عِبْرَ شعرنا العربي كلّه ، جميلة كالقمر ، أو كالمهاة ، أو كالوردة ، فكيف أصبحت هنا جميلة كالأرض . . . وكالأطفال ؟

كالأرض ؟ عن أيّ أرض يتحدّث الشاعر ؟ عن أرض بذاتها ؟ أم عن الكوكب الأرضي ؟ وهل في الأرض ، سواء كانت مساحة بعينها أم المعمورة كلها ، جمال يشبه جمال إمرأة فاتنة ؟ الأرض مليئة بالبؤس والمعاناة ، وفيها من مظاهر القبح قدر ما فيها من مظاهر الجمال . وكالأطفال ؟ كجمال الأطفال ؟ هل رأى شاعرنا أطفالاً يتدافعون ويتصارخون في زقاق ؟ هل درّس شاعرنا أطفالاً ، دقيقة واحدة في حياته ؟

سيقول القائل ، بطبيعة الحال ، أن الشاعر لم يقصد بالأرض سوى فلسطين ، وهي في نظره قمّة الجمال ، ولم يعن بالأطفال سوى

أطفال فلسطين وهم ، في عينيه ، ذروة الحسن .

اللهم لا اعتراض على التشبيهين . إلا أن شاعرنا ظلّ عربياً محملاً بالتراث العربي ، وخاف أن تنزعج الحبيبة ، فتراجع بسرعة البرق ، إلى الوراء ، وشبّه الحبيبة . . بالفلّ !

يا للأسى ! يبدو أن قدر المرأة العربية ، حتى في الشعر الثوري ، أن تظل قمراً . .أو مهاة . . أو فلّة !

يا أنتِ كـــوني جـمـيـع النســـاء
أكـــُنْ انا كل الأُلــــي عـشـقـوكِ

محمد مفتاح الفيتوري

بإمكانك حين تقرأ هذا البيت «التفعيلي» ، أن تتصور عاشقاً مليئاً بالحب يقول للمرأة التي تبادله الحب ، أنها أصبحت جميع النساء ، فأصبح هو جميع الرجال – ويا للمشهد السعيد !

وبإمكانك أن تتصوّر شهرياراً متسلطاً يطلب من المرأة هذا الطلب «التعجيزي» ، أن تتحول إلى جميع النساء ، إذا أرادت منه أن يكتفي بها – ويا للمشهد المرعب !

وبإمكانك أن تتصور رجلاً محروماً لم يعشق امرأة ، ولم تعشقه امرأة ، وهو هنا يخاطب عاشقة في الغيب يأمل أن تتحول إلى «جميع النساء» ، لتعوض عن حرمانه الطويل – ويا للمشهد الحزين !

كيف يمكن أن يكون بطل البيت عاشقاً مليئاً بالحب وظالماً مليئاً بالتسلط ، ومحروماً يتطلع إلى الحنان ، في وقت واحد ؟

وكيف لمشهد شعري واحد أن يكون سعيداً ومرعباً وحزيناً ، في

اللحظة نفسها ؟

إذا عرفت الجواب ، استطعت أن تعرف الصلة الوثيقة جداً بين الشعر والسحر !

لو كنتُ أعلمُ أن آخر عَهدكِمْ

يومَ الرحيل . . فعلتُ ما لم أفعلِ

جرير

نجح هذا البيت في أن يكون واحداً من أشهر الأبيات العربية لأن قائله الخبيث نجح في استثمار غريزة من أقوى الغرائز الإنسانية وهي الفضول .

ترى ماذا كان شاعرنا سيفعل لو علم أن آخر عهده بالحبيبة يوم الرحيل ؟ هناك احتمالات لا تكاد تنتهي . ربّما قتل نفسه . أو قتل الحبيبة . أو قتل الحبيبة ثم قتل نفسه . وربما منعها ، عنوة ، من السفر . وربما بكى وأعول على الملأ . وربما أعلن الحب الذي كان يكتمه . وربما قرّر أن ينهي الحب . وربما عانقها أمام الناس . . وربّما . . وربّما .

كلما قرأت هذا البيت تذكّرت قصة جحا الشهيرة . سُرق حذاء جحا من باب المسجد فمنع المصلين من الخروج وطالب بعودة حذائه في الحال ، وهددهم بأن يفعل ما فعله أخوه ، في حالة مماثلة ، إذا لم يرجع الحذاء . خاف اللص المجهول من هذا المصير المجهول وأعاد الحذاء

إلى جحا . اقترب أحد الموجودين من جحا وسأله : «ماذا فعل أخوك حين سرقوا حذاءه ؟» ابتسم جحا وقال ببساطة : «ماذا فعل ؟! مشى حافياً!» .

جرير كذّاب أشر وقد فاخر بأبيه الجشع البخيل الذي كان يمصّ الحليب من ثدي العنز حتى لا يسمعه الجيران ثمانين شاعراً وأسكتهم . وأنا أعتقد ، جازماً ، أنه كان يعرف تماماً أن يوم الرحيل آخر عهده بالحبيبة .

ومع ذلك تبقى الكلمة الأخيرة لشاعرنا . يظل البيت مثيراً للفضول لأننا نجهل ما فعله الشاعر يوم الرحيل - بقدر ما نجهل ما كان يمكن أن يفعله !

فيا بغلةً شمّاءَ! لو كنت مادحاً

مدحتك . . . إنّي للكرام صديقُ

يزيد بن مفرغ الحميري

الحيوانات المستأنسة التي أحبها الشاعر العربي ، وذكرها في شعره بمودّة ، هي الجمل والحصان والكلب . والحب الذي ربط الشاعر بهذه الحيوانات قائم على المصلحة وحدها : الجمل عماد الحياة اليومية ، والحصان عدة الحرب والترف ، والكلب ينبه إلى الأضياف ، ويصطاد الأرانب .

أما الحيوانات الأليفة الأخرى فلا تجد لها في «ديوان العرب» سوى الهجاء المرير . ابتداءً من الحمار الصبور المسكين ، وانتهاء بإبنه غير الشرعي ، البغل المنكود ذي الجينات الملتبسة .

وشاعرنا هنا يخرج خروجاً ثورياً على هذه التقاليد . يحول البغلة المستضعفة إلى بغلة «شمّاء» ، أي شامخة مرتفعة ، ويعلن أنه لو كان ينوي مدح احد لمدحها ولا يخجل من القول ، في تواضع غير مألوف عند الشعراء العرب ، أنه يعتبر نفسه صديقها !

أحب هذا البيت كثيراً . أتمنى لو شهد شعرنا العربي أبياتاً كثيرة مثله . وأتمنى لو درست هذه الأبيات في المدارس . لو حدث هذا لما رأينا في الأزقة العربية هذا المشهد اليومي المقزّز : الأطفال الذين يعذبون حيواناً صغيراً حتى الموت .

أما أنت يا يزيد بن مفرغ فهذا أنذا أعينّك رئيساً فخرياً لجمعية أصدقاء الحيوان العربية (عندما تنشأ . . . . بعد عمر طويل جداً) .

.. قل لي : أهذي الحياة
أصبحت عاهرة

محمد العلي

في نهاية قصيدة غاضبة مؤثرة يقذف شاعرنا الكبير محمد العلي ، الذي يرفض لأسباب مجهولة أن ينشر أشعاره في ديوان ، في وجوهنا بهذا السؤال الغاضب المؤثر ، الذي نضطر إلى الوقوف أمامه ، صامتين .

حقيقة الأمر كما يعرف شاعرنا الكبير ، أن هجاء الحياة «غرض» قديم من «أغراض الشعر» العربي . لا يكاد يوجد شاعر عربي لم يعرض «بالدنيا الدنيّة» التي «جبلت على كدر» وعمنا الضخم ، المتنبي ، لم يولع بشيء بعد هجاء الحُسّاد بقدر ما أولع بهجاء الدنيا ، ومن أجمل ما قاله في هذا المجال :

أبداً تستردُّ ما تهب الدنيا

فيا ليت جودها كان بخلا

وهي معشوقةٌ على الغدر لا

تحفظ عهدا ولا تتّمم وصلا

وليته اكتفى بهذا القدر الا أنه أضاف هذا البيت «الذكوري»

السخيف :

شِيمُ الغانياتِ فيها فما أد

ري لذا أنّث اسمها الناسُ أم لا

ونسى عمنا الضخم أن «الزمان» الذي أذاقه الويل وتلقى منه الويل كان مذكّراً لم يقل بتأنيثه أحد ، وتلك قضية أخرى .

أغفر للشعراء شطحاتهم الغاضبة عن الدنيا أو الحياة أو الزمان وهذه الكلمات هنا مترادفات - ولكني أرى أن الحقيقة تكمن في البيت الذي رواه الناس ونسوا صاحبه :

نعيب زماننا والعيب فينا

وما لزماننا عيب سوانا

وقائله هو الإمام الشافعي ، رحمه الله .

وصحتُ: «يا فتنتي! ما تفعلين هنا؟!

البرد يؤذيك... عودي... لن أعود أنا!»

عمر أبو ريشة

قابلت شاعرنا الكبير عمر أبو ريشة في منتصف السبعينات الميلادية في فندق(قصر الكندرة) الذي كان أيامها «فخر الموجود» بين فنادق العروس. قدّمني إلى الشاعر الصديق القديم العزيز السيد/ أحمد عبد الوهاب وهو بالمناسبة متذوّق «سرّي» من متذوقي الشعر الكبار. بمجرد أن اكتشف عمر أبو ريشة أني أحفظ من شعره كمية هائلة لا أعتقد أنه رأى إنساناً قبلي يحفظ مثلها قرّر أن يعتبرني من أصدقائه الأعزّاء. وهذا ما كان.

كان أبو ريشة محدّثاً بارعاً تتمنى إذا بدأ يتكلم ألاّ يسكت. وكان حديثه مزيجاً من الشعر والنثر والتعليقات اللاذعة والذكريات. إلا ان أكثر ما كان يشدني في حديثه هو ما يرويه من التجارب التي كانت وراء عدد من قصائده. والقصيدة التي أخذت منها هذا البيت كانت وليدة تجربة من أعجب التجارب.

كان الشاعر في جبال الهمالايا- لم يقل لنا لماذا ذهب إلى هناك- حيث قابل أميرة حسناء تسكن مع قبيلتها في تلك الجبال ، ولم يقل لنا اسم الأميرة ولا اسم القبيلة . من أول نظرة انفجر حب متبادل بين شاعرنا والأميرة الحسناء . إلا أن الشاعر اضطر في منتصف الليل إلى الفرار . كان يمشي مسرعاً على الثلوج عندما سمع صوتاً وراءه . عندما التفت فوجئ بالأميـرة الحســناء تطارده فما كان منه إلا وقف وصاح بها«البرد يؤذيك . . عودي لن أعود أنا» وعادت الأميرة الحسناء كسيرة الجناح دامعة العــين .

لا أعتقد أن أبو ريشة كان يكذب . أعتقد أنه كان يتمتع بخيال وثّاب واسع يسـتطيع أن يحـوّل الحـبـة قـبـة أعظم من قـبـة «تاج محل» . . . وأبهى .

رحم الله شاعرنا الكبير وتجاوز عن القائل- وأحسبه أنا- «أعذب الشعر أغربه»!

صـــــــــديقـــــــــتـي ! . . .

نَـمـتْ مِـن الـرمِـــــــــــالْ

عبد الرحمن رفيع

حسناً! هذا ليس بيتاً ولكنه شطر بيت ، وهو على أية حال ، جزء من قصيدة تفعيله لا تقليدية . ولا أريد الآن أن أدخل في العروض وقضاياها . أود أن أروي حكاية صغيرة ، عن هذا البيت أو (الشطر) .

ذات يوم ، في القاهرة الحسناء ، أيام الدراسة الجامعية ، أصيب الصديق الشاعر عبد الرحمن رفيع بحالة حب عنيفة . ولا بد أن أسارع فأضيف أن حالة الحب العنيفة ، ككل حالات الحب التي عانينا منها ، هو وأنا ، في تلك الفترة الذهبية ، كانت من طرف واحد : من طرف الشاعر العاشق . حقيقة الأمر ، ان الحبيبة الملهمة كانت آخر من يعلم بوجود الحب ، أو بوجود الشاعر الذي كان الحب يلهمه قصيدة كل ليلة .

أصيب شاعرنا إذن ، بحب عاصف . وكانت الحبيبة فتاة سمراء ، وسيمة ، دائمة الابتسام ، وكان صديقنا الشاعر يكتفي بالنظرات ،

والآهات ، كان يتصور ، كما كنّا نتصور جميعاً ، أن الفتاة الحسناء ، قد اكتسبت سمرتها من تربة مصر الخصبة . إلا أنه اكتشف أن «صديقته» في حقيقة الأمر ، كانت تنتمي إلى بلد خليجي ، من الأفضل أن يظل بلا اسم . ومع الاكتشاف المفاجئ جاء هذا البيت يعبر عن الصدمة والدهشة والحيرة والعشق المتجدد .

نمت من الرمال !

كيف تنمو وردة من الرمال ؟!

هذا السر لا يعرفه سوى الراسخين في تاريخ كلية الحقوق في جامعة القاهرة ، وتاريخ البوفيه العتيد في حديقة الكلية .

تعـــمى عـــيـــونُ التـــافـــهـــيَن

عن وســـاخـــةِ الطعـــام والشِـــرابْ

صلاح عبد الصبور

قبل أكثر من ثلث قرن ، قبل قدوم الهواتف النقالة والقنابل الذكية والأقمار الصناعية ، كتب صلاح عبد الصبور هذا الشعر متحسراً على حال «التافهين» الذي يضطرهم الجوع إلى أكل الطعام المزخرف بالذباب ، ويجبرهم الظمأ على شراب الماء الممزوج بالقذى .

ترى ماذا حدث بعد ثلث قرن ؟

على كوكبنا هذا ، كوكب العولمة واكتشاف الجينات واستنساخ الحيوانات والأطفال ، هناك ألف مليون انسان يعانون من جوع مستمر . ويوجد بالاضافة إليهم ، الف مليون إنسان يعيشون على حافة الجوع ، ويموت كل يوم ، لا أقول كل سنة أقول كل يوم ، أكثر من أربعين الف طفل بسبب أمراض تتصل كلها ، على نحو أو آخر بالجوع ، وعلى كوكبنا نفسه ، توجد بضعة أفراد يمتلكون ما لا تملكه الدول الأقل نمواً مجتمعة .

بعد ثلث قرن لم تعد مشكلة «التافهين» وساخة الطعام - أصبحت المشكلة وجود الطعام ، أي طعام . لا أدري ماذا كان شاعرنا سيقول لو أنه عاش أيامنا «الذهبية» هذه؟

ألا تعجب معي عزيزي القارئ ، بعد ذلك من الذين يقسمون لنا ليل نهار ان البشرية تسير سيراً حثيثاً ، لا تردد فيه ولا تراجع ، نحو الأجمل والأروع والأحسن ؟

«ارم نِظَارتيْكِ . . . . مــا أنَتِ أعــمـى

انما نحنُ جــوقــةُ العـــمـــيـــانِ

نزار قباني

ذهبت أزور نزار قبـاني ، رحـمـه الله ، في شـقـتـه اللندنيـة وكـان خارجاً ، لتوه ، من المستشفى بعد غيبوبة استمرت بضعة أسابيع . كان منهكاً جسدياً ، إلا أن انهاكه النفسي كان اكبر . كان حزيناً لأنه لم يعد قادراً على كتابة الشعر . قال لي إن نهاية الشعر نذير مؤكد بإنتهاء الحياة نفسها ، فهو لا يرى لحياته أي قيمة وأي معنى بلا شعر . حاولت التخفيف عنه الا أنه قاطعني قائلا :«أنت تختلف عني أنت تكتب أشياء كثيرة .انا لا أكتب إلا الشعر» .

خرج يودّعني ، وهو يمشي بصعوبة متوكأ على عكّازة طبية . عندما وصلنا إلى باب الشقة ، توقفت ونظرت اليه ، وقلت «ارم عِكازتيك!» . أدرك على الفور أني أشير إلى قصيدته الجميلة في طه حسين وتهللّت أسارير وجهه . بدأُت اقرأ الأبيات الأولى من القصيدة التي تبدأ «ضوء عينيك أم هما نجمتانِ» .

كنت أقرأ وأنا أشهد معجزة طبية تحدث أمامي . عاد اللون الوردي إلى الخديّن الشاحبين . سقط العكّاز . ذهبت التجاعيد عن الوجه الذي رجع ، بغتة ، إلى الشباب . عندما انتهيت همس ، وهو يعانقني ، «أرأيت كم هي جميلة هذه الأبيات ؟ كم هي بديعة ؟ كم هي سلسة ؟» . وانتهت اللحظة المعجزة .

قد يكون للشعر تأثير السحر في نفوس المستمعين إلا أن تأثيره في نفس قائله أعظم من تأثير السحر . . بكثير !

اذا مـــا أتـى يومٌ يفـــرٌّق بـيـنـنـا

بموتٍ . . . فَكنْ أنتَ الذي تتأخّر

الأقرع بن حابس

لا أعـرف عن الحـضـارات الأخـرى ، ولكـن عـرض الروح ، فـداء للمحبوب ، أمر شائع في الحضارة العربية منذ أن طلعت هذه الحضارة على العالم . ولم يقتصر هذا الفداء على النثر الراقي والشعر الفصيح ، ولكنة اصبح جزءاً من الحياة اليومية ، بلغة الحياة اليومية ، في كل قطر عربي .

في بلاد الشام تقول الأم لطفلها المدلّل «تقبرني» ! ورغم أن اللفظ يفتـقر إلى الجـمـال إلا أن المعنى يفـيض بالحب . وفي منطقـة الجزيرة العـربيـة والخليج تقـول الأم- أو الحـبـيـبـة- للطفل-أو للحـبـيـب- «فديتك!» . قد يشط الوله بالحبيبة فلا تكتفي بفداء الحبيب بنفسها ، بل تضـيـف اليـه «أهلهـا» . وعندمـا يتـجـاوز الحب درجـة مـعـينة تأتي القبيلة كلها - فوق البيعة!- فتقول الحبيبة«فديتك بأهلي وطوايفي» .

يا الله ! الطوائف كلها ! .

والبيت الذي نحن بصدده اليوم يتحدث عن هذه التجربة برّقة لم أرها في بيت آخر (والشعر العربي مليء بأبيات التفدية) . الشاعر لا يتمّنى الموت لا لنفسه ولا لصديقه . والشاعر لا يتحدث عن دفن أو قبر . وهو سعيد بحياته ، وبحياة صديقه ، ولا يريد أن يستعجل النهاية . ولكن النهاية الحتمية قادمة ، وعندما تجيء في يوم لا مفر منه ، يرجو شاعرنا صديقه ، بكلمات لا تنافس بساطتها إلا روعتها ، أن يكون هو «الذي يتأخر» .

ليس من الضروري أن يأتي الشعر الجميل بإبتكار مذهل . التجربة اليومية ، في يد الشاعر المبدع ، يمكن أن تتحول إلى لوحة مذهلة .

اسكتي! قد حززت بالدمع قلبي

طالما حـــزّ دمـــعكُن القَلوبا

مالك بن الريب

الذكر العربي ، في نظر نفسه وفي نظر الموروث الأدبي التقليدي ، هو ذلك الرجل القوي الصامد الشجاع الذي لا يضطرب ولا يرتبك ولا يبكي ، «الرجل الماشو» كما يقول التعبير الغربي . وهذا الذكر يستقبل حلو الزمان ومره وهو وضاح الوجه بسّام الثغر ، كسيف الدولة في بيت المتنبي الشهير ، ومن المستنكر ، لا بل من الفضيحة ، أن يبدي هذا الذكر ضعفاً نسائياً كالبكاء . وقد عبر جرير عن هذه العاطفة الذكورية تعبيراً صادقاً حين قال وهو يرثي زوجته ، إنه كاد أن يبكي ، وكاد أن يزور قبرها «لولا الحياء» أي لولا الذي الخجل يمنعه من إظهار ضعفه البشري على الملأ .

وفي بيتنا هذا ، يتخلى الشاعر الذكر عن الفحولة النمطية وهو يودع ابنته . يرجو الشاعر فتاته ان تكف عن البكاء الذي حزّ قلبه«أو قطعه حسب التعبير الدارج» . ولا يكتفي بهذا ، بل يذكر ابنته أن

دمع النساءَ . النساء كلهنَ! «طالما» حزّ قلبه .

وقائل البيت ليس من الرجال الناعمين العابثين ، ولا من الجبناء الذي تذوب قلوبهم خوفاً من المواجهة . قائل البيت شجاع فاتك من الصعاليك المغاوير ، عاش حياة حافلة بالمغامرات ، على حافة الموت ، ينهب ويقتل ويسلب ، حتى اهتدى وتاب ، والتحق بجيش عثمان بن عفان رضي الله عنه غازياً في سبيل الله ومات في خراسان عندما عضّته أفعى كانت نائمة في نعله ، وكتب قبل أن يموت قصيدة في رثاء نفسه ، تناولتها بالتفصيل في كتاب «قصائد أعجبتني» وقلت إنها أعظم قصيدة في الشعر العربي كلّه .

أيها الشاعر الفارس ! لا أدري عن الآخرين ولكني- والله !- مثلك ، طالما تقطع قلبي وأنا أودع ، قبل السفر ابنة أو ابناً أو حفيداً .

ليــــبك الزمـــــانُ عليك طـويلاً

فــقــد كُنَت خــفَّــةَ روحِ الزمــانِ

الشريف الرضى

كان الشريف الرضى يتمتع بموهبة شعرية عملاقة ، ولكنه لسبب مجهول ، أعني لسبب لا أعرفه أنا ، لم يحظ بالاهتمام النقدي الذي ظفر به شعراء يقلّون عنه موهبة ، وفي تراثنا الأدبي شخصيات كثيرة مظلومة نقدياً ، نحسن صنعاً لو عدنا إليها ، وأعدنا اكتشافها . وكان الشريف الرضى مجيداً في كل الميادين التي تناولها ، ولكنه كان مبدعاً حقاً في مجال الرثاء ، رثاء الأصدقاء ، ورثاء شبابه الضائع .

هناك نوعان من الرثاء . هناك الرثاء التقليدي وهذا لا يختلف عن المديح إلا في كونه يقال بعد وفاة الممدوح . وهنالك الرثاء الحقيقي ، وهو تعبير صادق عن عاطفة صادقة ، ولا علاقة له من قريب أو بعيد بالمديح . وبيت الشريف الرضى الذي نحن بصدده من أروع ما قرأت في الرثاء الحقيقي .

عندما نقول عن إنسان ما أنه «خفيف الروح» أو (خفيف الظل

حسب التعبير الدارج) فاننا نختصر في هاتين الكلمتين العديد من المعاني . نقصد أننا نشتاق إلى هذا الإنسان عندما يغيب ، ولا نمل صحبته عندما يحضر . ونقصد أنه يتمتع بحس دعابة متطور . ونقصد أنه سمح ودود كريم . وصديق الشريف الرضى لم يكن خفيف الروح فحسب : أخذ كل ما في الزمان ، الزمان كله ، من خفة روح . هل تستغرب إذا أصبح الزمان بعد رحيله محاطاً بالثقلاء ، يندب سعادته التي رحلت ؟

الحق أقول لكم : هزني هذا البيت الواحد كما لم تهزني قصيدة طويلة طنانة رنانة لأبي تمام ، كانت ضمن المحفوظات أيام الدراسة الثانوية ، قصيدة تبدأ : «كذا فليجل الخطب وليعظم الأمر» !

والعـــسكريُّ بليـــدٌ بالأذىَ فِطنٌ

كـــأن إبليَس للطغـــيـــان ربَّاه

محمد محمود الزبيري

لا بد أن أقول أن الزبيري كان يتكلم عن فئة معينة من العساكر ، في دولة معينة ، خلال حقبة زمنية مضت وانتهت ، ولا أريد ، والحالة هذه لأحد من الذين يمتهنون العسكرية الآن أن يتصور أنه المقصود بالبيت .

الصورة التي يضمنها البيت ترعب وهي مجرد صورة شعرية ، فكيف لو تجسدت على أرض الواقع ؟ ستكون أمام وحش بشع مخيف يعتبر وحش فرانكشتين ، مقارناً به ، قمر الزمان . هذا الوحش ولد بليداً بالفطرة شغوفاً بإيقاع الأذى بالناس . وهذا الوحش لم يترك ليترعرع في بيئة طبيعية كان من الممكن أن تقلم أظافر بلادته أو تقمع بعض النوازع العدوانية في نفسه . تلقف إبليس اللعين الطفل الوحش وأدخله مدرسته الشيطانية . وربيب إبليس هذا لم يتعلم في المدرسة الموبقات العديدة التي يتقنها ابليس ويدّرب أتباعه على

إتقانها ، ولكنه تخصص في دراسة نوع واحد من الشرور هو الطغيان .
لنا أن نتصور صاحبنا ، أو عدونا ، وقد تخرّج بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى ، من مدرسة ابليس ولنا أن نتصور الممارسات التي انغمس فيها بعد تخرجه ، هذه الممارسات التي عانى منها شاعرنا الكبير ووصفها في بيته البديع .

قلت في بداية الحديث أن لا أود لأحد من الذين يمتهنون العسكرية الآن أن يتصور أنه المقصود بالبيت ، ولكني لا أستطيع أن أقول الشيء نفسه عن بعض الحكومات العسكرية .

واذا النصـر كـان عـاراً . . . . فـأرضـى

لـلـمـــــــروءاتِ . . . أنـك المخـــــذولُ

بدوي الجبل

كـان بـدوي الجـبل شـاعـراً فـارسـاً مـغـواراً . في أوج المدّ الـنـاصـري هاجم شاعرنا الرئيس جمال عبد الناصر هجوماً قاسياً . ولم يكن من قـبـيل المصـادفـة أن يكون عنوان القـصـيـدة التي حـملت الـهـجـاء القـاسي«كافور» . ولا يـهـمنا الآن أن نقـرّر هل كـان الـشـاعـر مـصـيـبـاً أو مخطئاً في موقفه ، بقدر ما يهمنا أن نسجل أن الموقف دليل شجاعة أكيدة ، كان يمكن أن تقود شاعرنا إلى حتفه ، إلا أنها لم تقده ، لحسن الحظ ، إلا إلى المنفى .

وفي أعقاب هزيمة حزيران الأسود غضب شـاعرنا غـضبة مروّعة حملتها قصيدة طويلة تهاجم الأنظمـة الثورية الاشـتـراكيـة هجوماً لا هوادة فيه . أدت القصيدة إلى اختفاء الشاعر ، وكانت تؤدي إلى قتله ، إلا أنه أفلت من الموت وعاد من غيبته وغيبوبته ، بجروح عميقة في جسده ، وجروح أعمق في النفس .

من حقنا أن نعجب بفروسية الشاعر الذي يرفض النصر الرخيص ، وأن نحيي هذه الفروسية التي تعتبر الهزيمة النبيلة أعظم من الظفر الغادر . من حقنا أن نعجب بالبيت ، ولكننا نخطئ خطأ قاتلاً إذا اتخذناه معياراً للمسلك السياسي . عندما تدخل الدولة حرباً فيجب أن تدخلها بنية الانتصار المؤكد ، كائناً ما كان الثمن ، وكائنة ما كانت الوسائل . ليس من الحكمة في شيء أن نزج أنفسنا في مغامرات طائشة ثم نعزّي أنفسنا بالقول إن العدو انتصر بسبب خسته ونذالته ، وإننا خرجنا من الحرب منتصرين ، بمبادئنا العليا ، رغم أننا خسرنا كل شيء : الرجال والعتاد والمال والأرض .

«الحرب خدعة» وفي منطق الحرب لا ينبغي أن يكون بيت البدوي الجميل هو الشعار . نحسن صنعاً لو دخلنا الحرب ونحن نردد مع حافظ ابراهيم :

قد ملأنا البحر من أشلائِهم

فدعوهم يملؤوا الدنيا كلاما

وأسلمني الصديق أخاً وسيفاً

فكيف بنصر مختضبِ البنانِ؟!

مهيار الديلمي

جنتْ على مهيار شهرة بيته الطائر:

اذكرونا مثل ذكرانا لكمْ

رب ذكرى قرّبتْ مَن نزحا

وتصّور الناس أنه لم يكتب غير هذا الشعر. أما عشاق الغناء فأضافوا إلى هذا البيت القطعة التي غناها الموسيقار الراحل محمد عبد الوهاب والتي يباهي فيها الشاعر «بأبي كسرى على إيوانه» لا أدري لماذا اختار المطرب الكبير هذه المقطوعة «الشعوبية» ولم يكفه سوء الاختيار، فعبث بالبيت الأول منها حيث حوّل «أم سعد» إلى «ذات حسن»، وللمطربين فيما يفعلون مذاهب.

وبيت مهيار الذي نحن بصدده جميل في مبناه، قبيح في معناه، البيت جميل بكلماته التي تقبل أكثر من معنى. «الصديق أخاً و سيفاً» يمكن أن تعني «رفيق السلاح» كما يمكن أن تعني

«الصديق السيف» ويمكن أن تعني «الأخ السيف» . ويزداد الجمال اللفظي مع المفارقة بين السيف الذي يسفك الدماء وبين البنان المخضوب بما يشبه الدماء .

إلا أن البيت بذيء جداً في معناه الذي يعتبر المرأة أقل وفاءً من الرجل . هذه قضية لم يقم عليها برهان واحد . وأذهب أبعد من ذلك فأقول أن ما نلمسه جميعاً في حياتنا اليومية من مسلك الجنسين يدفعنا إلى القول بأنه إذا كان لا بد من اختيار جنس واحد رمزا للوفاء . فلا مناص من اختيار الجنس اللطيف .

سامح الله مهيار! لم يكتف بالشعوبية - فأضاف هذه الشوفينية الذكورية السمجة .

لا تصـــدق النائـم أحـــلامَـــه

إذا أحسّ الشـــوكَ في المرقـــدِ

حسين سرحان

تعرفت على شعر حسين سرحان ، رحمه الله ، أول ما تعرفت عليه عن طريق الصديق القديم الذوّاقة صالح المساعد . لفت نظري إلى بيت جميل للسرحان يتحدث عن لمعان الشيب كما يلمع المرو في المطر . وبعد ذلك صدرت للشاعر مجموعتان قرأتهما بشغف ولم أزدد إلا اعجاباً بشعره (وأنتهز الفرصة لأحيي نادي الطائف الأدبي الذي أصدرهما) . لم يشأ لي قدري أن اجتمع بالسرحان ، وإن كنت قد سمعت من بعض الأصدقاء أنه قضى سنواته الأخيرة في عزلة تكاد تكون كاملة ، وكان يعيش عيشة الكفاف . وكم تألمت حين قرات له مقالاً يطالب فيه «الجهات المسؤولة» ان تعفيه من تقديم شهادة سنوية تثبت أنه على قيد الحياة . كنت أتصوّر أن موت أديب كبير سوف يثير قدراً من الاهتمام يجعل حتى «الجهات المسؤولة» تسمع بالخبر . ومرّت الأيام ، وأحلتُ أنا بدوري إلى التقاعد ، وكم

كانت دهشتي بالغة عندما تلقيت خطاباً من «الجهات المسؤولة» موجهاً إلى سفير المملكة العربية السعودية في البحرين تطلب منه تقديم ما يدل على أنه لا يزال على قيد الحياة . لا شيء يعيد التواضع ، إن كان التواضع قد رحل ، إلى النفس كرسالة يخاطبك فيها «مسؤول حكومي» دون أن يدري حيّ أنت أو ميّت !

طال الحديث ، وكدنا أن ننسى البيت . الأحلام عادة ، هي جواز سفر للرحيل من العالم القاسي الذي نعيش فيه . في الأحلام نستطيع أن نفعل ما لا يمكننا أن نفعله في اليقظة . مع الحلم نستطيع أن نتمتع بأشياء تستعصي علينا في الحقيقة . وعبر تاريخنا الأدبي كله كان طيف الحبيبة ، الذي يزور في الحلم ، العزاء الوحيد الذي ينسي العاشق هجر الحبيبة . إلا أن شاعرنا حسين سرحان هنا يعلن ولأول مرة حسب علمي ، أن الأحلام لا تستطيع تجاوز الواقع الحزين والسرير المفروش بالأشواك لا يمكن أن يكون ملعباً لأحلام سعيدة .

رحمك الله أيها الشاعر الكبير . وما أشقى أن تشقى حتى في الأحلام !

يا بنـي آدمٍ ! تـعــــــالـوا نـنـادي

انما نحـن للنســاءِ عـــبـيــدُ !

العباس بن الأحنف

يرى الصديق الناقد اللامع عبدالله الغذامي أن أبيات«الفحولة» طبعت شعرنا العربي كله بطابعها الذكوري الفظّ ، وسرعان ما انتقلت العدوى إلى النفس العربية «فتشعرنت» و«تفحلنت» وأصبحت تميل إلى القوة بدلا من الرفق ، وإلى القسوة بدلا من الحنان ، وإلى تمجيد الرجل السيّد على حساب المرأة الجارية .

في هذا القول شيء من الصحة ، يقل في نظري عما يتصوره الناقد الصديق ، وهذا القدر من الصحة يفرض علينا قراءة جديدة للشعر نبحث فيها عن الشعراء غير الفحولين ، وعن الأشعار المضادة للفحولة ، كما يفرض علينا أن نشيد بهؤلاء الشعراء ، وأن نحرص على ذيوع ما كتبوه ، لعلنا نسهم ، إذا فعلنا في «شعرنة» النفس العربية من جديد ، على نمط لا فحولي ، تشيع فيه قيم العطف والمساواة والحنان .

والعباس بن الأحنف من الشعراء غير الفحوليين . واعجابي بشخصيته ، كإعجابي بشعره ، لا يعرف الحدود . عاش شاعرنا في عصر كان جميع شعرائه العمالقة يلتقطون الحب الذي نثرته الخلافة للشعراء ، ومع ذلك لم يمدح قط . وعاصر شاعرنا مرحلة شهدت أقذع الهجاء ، ومع ذلك لم يهج قط . ظل بعيداً عن اغواء السلطة ، بعيداً عن اغراءات العصر ، متغنياً بالنساء وحدهن ولواحدة بالذات ، هي فوز . وفي هذا البيت الجميل عبودية جميلة من نوع جديد ، عبودية لا تقوم على قهر ولا تسلط ولا عنف ولكن على الحب ، والحب وحده .

يا صاحب فوز! سوف أنادي معك : «إنما نحن للنساء عبيد»!

أعــمى يقــود بصــيــراً . . . لا أَبَا لُكمُ

قد ضلّ من كانت العميُان تهديهِ

بشار بن برد

تقول الرواية الشهيرة عن هذا البيت أن عابرًا سأل شاعرنا الكفيف عن مكان ما ، وحاول الشاعر أن يصف للسائل الطريق إلى المكان ، إلا أن العابر المبصر لم يتمكن من استيعاب التعليمات ، فما كان من شاعرنا إلا أن قام من مجلسه وأخذ بيد السائل يقوده إلى بغيته ، وهو يرَدد هذا البيت .

كان بشار يتكلم عن نوع واحد من العميان ، هو النوع الذي فقدَ البصر . ولكن بيته هذا ينطبق ، بدقة متناهية ، على عميان من نوع آخر ، لا تشوب بصرهم شائبة . هناك الأعمى النازي الذي حوّل أرقى امّة ٍفي أوروبا إلى قطيع من الأغنام المطيعة ، وهناك الأعمى الإيطالي الذي حلم بأمجاد روما القديمة وخلف روما الجديدة للذل والهزيمة . وهناك الأعمى السوفييتي الذي ذهب إلى لعنة التاريخ بعد أن ترك خلفه عشرات الملايين من الضحايا . وهناك في أيامنا هذه ، الأعمى

«القائد الضرورة» الذي يحكم سعيداً في بغداد وحوله شعب بأسره يتضور جوعاً ويتمزق هوانا .

هناك أصناف عديدة ، ومتناسخة من عميان البصيرة ، ولكن القاعدة التي تنطبق على المبصرين الذين يتبعونهم واحدة لا تتغيّر :

«قد ضل من كانت العميان تهديه» .

بربك! هل ضممتَ اليك ليلى

قبيل الصبحِ؟ أو قبّلت فَاها

مجنون ليلى

لا أعرف في أبيات الشعر التي أحفظها بيتاً يثير الشجن في نفسي ، ويوشك أن يستدر الدموع ، مع كل قراءة ، كهذا البيت . هنا قمة الألم : العاشق «المجنون» المحروم يسأل الزوج السعيد عن حاله مع الحبيبة «العاقد» والشاعر لا يتهدد ولا يتوعد ، بل يتساءل باستعطاف : «برَبك» . والشاعر لا يسأل عما تم أثناء الليل ، فهو يعرف تماماً ما دار خلال الليل ، بل يكتفي بالسؤال عما دار «قبيل الصبح» من تطورات ، بريئة نسبياً ، كالضَمة والقبلة .

يبدو أن البيت أثار في نفس شوقي ما يثير في نفسي من مشاعر . في مسرحيته الشعرية «مجنون ليلى» وهي أجمل أعماله على الاطلاق ، لا يكتفي شوقي بترك السؤال الحزين معلّقاً بلا جواب ، ولكنه يرّد عليه رداً سادياً موجعاً على لسان الزوج :

أجل لقد قبلّتها

من رأسها إلى القدم

وتتقمص روح المجنون شوقي تقمصاً كاملاً يجعله يصيح :

تلك لعمري قُبلة الحُمّى . . . . بلاءٌ وَسَقمْ

أو قُبلة الذئب اذا الذئب على الشاهِ جَثَمْ

ما أشبه موقف المجنون في المسرحية بموقف شاعرنا الظريف الذي قال : «أوسعْتهم شتماً . . . وأوَدوْا بالإبلْ» !

السؤال الذي ينطوي عليه بيت قيس الدامع يتجاوز ليلى العشّاق والأساطير ليصبح سؤالاً يردده كل من لا يملك في مواجهة من يملك .

أأهرب منك . . . وأنت نصـــــــيـــــبي

من الأرض والشـمس والقـمـر المتـلألئ . . .

عبد العزيز المقالح

لو كان عبد العزيز المقالح من شعراء «المركز» بيروت أو القاهرة ، لأصبح اسمه على كل لسان . لو كان يهوى التنقل من مهرجان شعري إلى ندوة أدبية لظفر بعدد من الجوائز الدسمة ، ولو كان يحب الترحال والتنقل لتهافت عشاق الشعر على أمسياته . إلا أنه من شعراء الأطراف ، وهو يكره الاجتماعات الشعرية والأدبية ، وهو لا يحب السفر ويمقت وسائل السفر بأنواعها . هل نعجب إذا ظل شاعراً في الظل؟!

أنتقلُ من الشاعر إلى بيته . نصيبه من الحبيبة هو نصيبه من الأرض ترى ما هو نصيبه من الأرض؟ الأمتار أو الأشبار التي يقوم عليها منزله ؟ لا ! الأرض كلها ! لا ! نصيبه من الشمس ؟ مرة أخرى يجيء الجواب : الشمس كلها . وما هو نصيبه من القمر المتلألىء ؟ مرة ثالثة : القمر المتلالئْ بأسره .

كيف يمكن أن يحب إنساناً حباً كهذا ، حباً يحوّل الأرض ، بأسرها إلى ملكية المحبوب ويسجل الشمس في دائرة العقار باسمه ويجعل القمر المتلألىء بعض مقتنياته؟

أظن - ولا أعلم- أن الحبيبة لا يمكن أن تكون امرأة عادية .
أظن-ولا أعلم-أن الحبيبة ليست امرأة على الاطلاق . ولا تسألوني بعد عن هوية الحبيبة فأنا أجهلها مثلكم! .

أحـــــــبـك . . .

حتى يصبح حبك حاجتي اليومية الهادئة

اليزابيث باريت براوننج

قصة الحب التي جمعت بين الشاعرة اليزابيث براوننج وبين زوجها واحدة من أشهر القصص في الأدب الإنجليزي . والقصائد الجميلة التي كتبتها الشاعرة عن هذا الحب أصبحت من القطع الكلاسيكية في الشعر الإنجليزي . والقصيدة التي نقلت عنها البيت«كيف أحبك؟» واحدة من أروع هذه القصائد .

لنتأمل معاً أبعاد البيت . توّد الشاعرة أن تحب زوجها حتى يتّحول حبها له إلى «حاجة يومية هادئة» . تُرى ما هي الحاجات اليومية؟ هناك الهواء ، وهناك الطعام ، وهناك الماء ، وهناك المأوى . وهذه الحاجات أساسية نستطيع أن نضع بجانبها حاجات أخرى تحولت ، مع الترف أو مع العادة ، إلى حاجات يومية : كالشاي والقهوة والنزهة والقراءة والكتابة ، إلى ما لا يكاد يتناهي من حاجات .

تريد الشاعرة بهدوء أن تحول حبها إلى «حاجة يومية هادئة» أنا لا

أعرف رغم الهدوء الذي يكتنف البيت ، شعراً يصف حباً بهذا العنف . هل هناك أقوى من حب يحتاج إليه المرء يومياً ، كما يحتاج إلى الماء والهواء والطعام والشراب ؟

يتصور البعض من الشعراء الشباب أنه لا بد من كلمات معقدة غريبة ليصبح الشعر شعراً حقيقياً . وهذا البيت يثبت ، على نحو قاطع ، أن أبسط الكلمات يمكن أن تصف أقوى المشاعر وأعمقها .

وأين التلعـــثمُ عندَ اللقـــاءِ؟

وأين التـــحـــرّق عندِ البُـــعـــادْ؟

حسن عبدالله القرشي

للموت أعراض لا يكاد يخطئها احد من الأطباء الحقيقيين أو الهواة . يتوقف النبض . وتبرد الأطراف ، وتتصلب الأعضاء . والموت الذي يصيب الكائنات الحيّة كلها لا يغفل عن الحب ، وهو كائن من أكثر الكائنات حياة وحيوية .

وشاعرنا هنا يثير إلى عرضين من أهم الأعراض التي تواكب وفاة الحب . هذه الرعشة التي تلّف الجسم كله مع لقاء العينين ، وتترك تأثيرها في كل مكان من الجسم ، وبالذات في اللسان الذي يعجز عن النطق ، فيصمت أو يتلعثم ، هذه الرعشة تزول مع وفاة الحب وزوالها يشكل العرض الأول .

حسناً ! قد يكون العرض الأول مؤقتاً ، نوعاً من الموت الكاذب ، إن صح التعبير ، وهنا تأتي دور العرض الثاني . حين يكون الحب حباً ، لا يكاد الفراق يختلف عن اللقاء في عنفوانه وعنفه ، وإذا كان

اللقاء مشوباً برعشة تحبس اللسان ، فالفراق تشوبه لهفة تشبه الحريق .

ذهب العرض الثاني ، وجاء الفراق بلا شوق ، كما جاء اللقاء قبله ، بلا عاطفة . وصدرت شهادة طبية رسمية من وزارة الصحة الشعرية تعلن وفاة الحب مأسوفاً عليه .

ماذا نقول لشاعرنا الكبير؟

نقول له «عظم الله أجركَ في الفقيد الغالي .»!

خِلتُ أني في القفر أصبحتُ وحدي
فــــاذا الناسَ كلُهم في ثيـــــابي
ايليا أبو ماضي

في أعماق كل منا حنين إلى يوتوبيا وادعة . ليس فيها ما يزعج أو يخيف ، تعبق بالرضا والسلام . وهذه اليوتوبيا قد تكون مسقط رأس الإنسان الذي تركه منذ امد بعيد . وقد تكون مكاناً بعيداً يود الانسان أن يهاجر إليه من مسقط رأسه . وقد يكون مكاناً خيالياً على الخارطة مثل «شانجري لا» .

ومنذ أعلن شاعر عربي قديم أنه فزع من صوت الإنسان واستأنس لصوت الذئب الذي عوى ، والصحراء تمثل في المخيلة العربية مكاناً نقياً ، لا تلوثه سموم المدينة ، مكاناً يستطيع فيه المرء أن يخلو إلى نفسه بعيداً عن الآخرين (والآخرون هم الجحيم في رأي سارتر) . شاعرنا ابو ماضي ، اذن ، لم يكن بدعاً بين الشعراء العرب في حنينه إلى مباهج القفر بعد أن عانى ما عاناه من ويلات الحضارة .

حقيقة الأمر ، بطبيعة الحال ، أنه لا توجد على هذه الأرض أي

يوتوبيا . المعاناة التي تنبع من داخلنا تذهب معنا حيث نذهب ، والغرائز البشرية التي نحاول تجنبها لا تعترف بالأمكنة . وهذا البيت يصور خيبة الأمل المريرة التي مني بها شاعرنا ؛ في القفر حاول الفرار من الناس فإذا بهم يفاجئونه في أعماق الصحراء ، مطلين من داخل ثيابه نفسها . قلت أنه لا توجد يوتوبيا على الأرض ، ولكن يوجد شيء قريب منها داخل النفس ، إسمه كما يحلو لي أن أتصور راحة الضمير .

كـــــأننـا . . . والماءُ مـن حــــــولنـا

قـــــومٌ جـلوسٌ حـــــولَهـم مـــــاءُ

«مجهول»

لا أظن أن هناك أديباً ، أو شبه أديب ، عبر الأمة العربية كلّها لم يمر به هذا البيت ، الذي يضرب مثلاً على النظم السخيف الخالي من المعنى . ولا شك أن هذا ما يبدو من البيت لأول وهلة ، ولكن إذا حاولنا أن نجهد خيالنا وأن نبحث عن مقصد القائل الحقيقي ، ألا يتكشف لنا البيت عن معنى آخر ، لم يفطن إليه الساخرون والهازئون؟

ألا يمكن أن نتصور أن شاعرنا استطاع في بيت واحد أن يدين كل النظامين الذين يكتبون بلا عاطفة حقيقية؟ أليس بيته احتجاجاً ظريفاً على القصائد الطويلة التي لا حظّ لها من الشعر سوى الوزن والقافية؟ ألا يحق لنا أن نعتبر الشاعر المجهول ناقداً موهوباً من ناقدي الشعر؟

وهناك بيت آخر ، ينسب إلى أبي العتاهية ، ويُساق بدوره مثالاً

على النظم السقيم هو :

مات الخُليفة أيُّها الثقلانِ

فكأنني أفطرت في رمضانِ

أنا لا أصدق أن قائل هذا البيت كان مضطراً إلى أن ينهيه هذه النهاية العجيبة لسبب يتعلق بالوزن أو القافية . هذا الوزن بالذات ، سهل مطواع ، وقافية النون أكثر القوافي سخاء في اللغة العربية . يحلو لي أن أتصور أن شاعرنا تحت وطأة ضغوط لا تقاوم ، اضطر إلى رثاء خليفة لا يحبّه ولم يأسف لفراقه ، فقال بيته العجيب هذا تعبيراً عن الاحتجاج .

أود أن أقول إنه يحسن بنا ونحن نقرأ الشعر أن نقرأه مزودين ، بجانب عدد النقد التقليدية ، بابتسامة أو ابتسامتين !

عندما رأى العصفور ذيل الطاووس

اشفق عليه من عبء حمله

طاغور

منذ أن قرأت هذا البيت لطاغور، قبل سنين طويلة، وأنا أقف كلما رأيت طاووساً، أتأمل الطائر العجيب وهو يمشي مختالاً، ثم ينشر ذيله الملون الزاهي، وكأنه ينتظر من الجمهور آهات الاعجاب والافتتان. وفي كل مرة يقودني التأمل إلى المثل الغربي الذي يتحدث عن «الذيل الذي يحرّك الكلب». أشعر بكثير من الشفقة على الطاووس الذي تحول وجوده كله إلى مجرد ذيل جميل.

والطواويس البشرية لا تختلف حالها عن الطواويس ذات الريش. ترى الطاووس الأول يجر ذيلاً من الثروة. وترى الطاووس الثاني يجر ذيلاً أكبر من الشهرة، وترى الطاووس الثالث يحمل ذيلاً هائلاً من السلطة. تحاول أن تجد شيئاً خلف الثراء. فلا تجد، وتنقب عن إنسان خلف الشهرة، فلا تعثر عليه، وتسعى إلى التعرف على روح بشرية خلف السلطة، فلا تجدها والمأساة الحقيقية أن هذه الطواويس لا تدري

أنها تحولت إلى مجرد ذيول لذيلها الجميل .

وفي المقابل هناك العصفور ، الذي ينتقل من مكان إلى مكان في خفة النسيم لا ينظر خلفه بحثاً عن معجب بذيله ، ولا يلتفت حواليه منتظراً تصفيق المشاهدين . وشبيه بالعصفور في دنيا البشر ذلك الإنسان البسيط الذي لا ينوء بأغلال ثروة طائلة أو شهرة طائرة أو سلطة طاغية ، والذي يعيش حياته حراً طليقاً لا يستعبده ذيل ملّون رائع .

أقول هذا وأنا أجر خلفي ذيلي اللامع الطويل الثقيل!

سيدتي ! أحببُتك حبّاً
تخشاه قلوبٌ . . . وعُقول!

أسامة عبد الرحمن

هذا الشاعر مظلوم جداً . لا يكاد ناقد يذكره . ولا تكاد تجد اسمه في دراسة أدبية ، ولا يشير اليه أحد عند الإشارة إلى شعراء المملكة البارزين .

ويقتضي الانصاف أن أقول أن الشاعر ، نفسه ، مسؤول إلى حد كبير عن هذا الظلم . ظل شاعرنا حتى بلغ الأربعين يتحرج من نشر شعره ، ويغضب اذا كتب أحد مقالاً عن هذا الشعر .وظل يتجنب الأضواء بمختلف أنواعها . وظل يهرب من الصحافة والصحفيين . في حدود الأربعين ، ولأسباب مجهولة ، حدث انقلاب جذري في شخصيته . أصبح ينشر ، بكثافة ، شعراً ونثراً . وامتازت كتاباته الشعرية والنثرية بقدر كبير من الجرأة يصعب الحصول على ما يشبهه في الانتاج الفكري السعودي . ومع ذلك ظلّ مظلوماً . وأحسب أن الظلم سببه هذه المره ، هو ما جبل عليه الشاعر/ الكاتب من حب

للإنطواء والعزلة ، وبعد عن الشلل والشللية .

في هذا البيت تنعكس الصورة التقليدية عن الحب . المألوف أن يتخوف العقل مغبّة العشق في الوقت الذي يندفع فيه القلب ، كمجنون ليلى ، إلى احتضان هذا العشق . إلا أن شاعرنا أحب فتاته- أو سيّدته من باب الأدب !- حبّاً لا يرهب العقول فحسب ، بل يفزع حتى القلوب المفطورة على حب الحب .

حب مفزع حقاً وجميل حقاً ! وهذا البيت جزء من شعر جميل لا يكاد يعرفه أحد . ألم أقل لكم أن هذا شاعر مظلوم؟

فــشـغــري مــوردٌ عْــذبُ زلالٌ

وفـــــــــرعُ ذؤابـتـي ظـلٌ ظـلـيـلُ

حفصة بنت الركوني

قرأت مرة أن الأندلس وحدها ضمت ستّين ألف شاعرة . ورغم ما في هذا القول من مبالغة واضحة تبقى الحقيقة أن تاريخنا الأدبي شهد الكثير من الشاعرات . لماذا لم يصل إلينا من الشعر النسائي إلا أقل القليل؟ علم هذا عند ربي!

والبـيت الذي نحن بصـدده اليـوم مـأخـوذ من مـجـمـوعـة من المجموعات النادرة المخصصة لشعر النساء . اسم المجموعة «نزهة الجلساء في أشعار النساء» للإمام جلال الدين السيوطي . في المجموعة يقول السيوطي عن واحدة من اللواتي اختار شعرهن«شاعرة رقيقة الشعر محسنة» ويقول عن الثانية «ولها شعر وقصائد ومقاطيع» ويقول عن الثـالثـة :«احـدى المتـأدبات المتـصـرفـات المتـغـزلات» ويقـول عن الرابعة«شاعرة مشهورة» ويقول عن الخامسة :«لها ديوان شعر معروف بين الأدباء» ومع ذلك لم يعطنا السيوطي سوى أبيات معدودة لكل

شاعرة . مرة أخرى أسأل : ماذا حدث لشعر النساء ؟

والبيت الذي نتحدث عنه اليوم بيت جريء كتبته امرأة جريئة تقول عنها المجموعة «شاعرة جميلة مشهورة بالحسب والمال» وفي هذا البيت تتحدث شاعرتنا ، بصراحة ، عن مباهج ثغرها وتغري صاحبها بمفاتن شعرها . لم تكن الشاعرات العربيات كما يبدو بحاجة إلى شاعر ذكر يعبر عن مشاعرهن . . ومحاسنهن!

وفي المجموعة أبيات أكثر جرأة . الا أن المحقق شوّهها وحذف الكثير من كلماتها «رعاية للخط الذي نسير عليه ونرعى الله فيه» . واعجباه من محقق معاصر نصّب نفسه رقيباً على فقيه من أعظم فقهاء الشريعة وعالم من أكبر علمائها ، تجاوز عدد مؤلفاته سبعمائة مؤلف . ترى هل اختفى شعر النساء لهذا السبب ؟!

فـــلا يـزال المُرء فـي فَـــســـــحـــــةٍ
من عـــقلهِ . . مـــا لـم يـقل شـــعـــرا

مجهول

يحتل الشعر في تراثنا الثقافي ، لأسباب يطول شرحها مكان الصدارة . الشعر ، بادئ ذي بدأ ، «ديوان العرب». والشعر يبيّن لبغاة العلا طريق المكارم . والشعر يخلّد الممدوح والمادح . والشعر يستدر عطف البخيل . والشعر يستثير حمية الجبان . والشعر يذيب قلوب العذارى . وقد كنت دوماً من المؤمنين أن أعظم معجزة تمكن الشعر من اجتراحها هي نجاحه في تزويج مجموعة من العوانس الفقيرات القبيحات على اثر أبيات ركيكة قالها شاعر مخمور بعد رشوته بوليمة دسمة .

وارتفاع مكانة الشعر يعني ، بتلقائية لا مفر منها ، ارتفاع مكانة الشاعر . لم يوجد شاعر عربي واحد سلم من النرجسية ، ابتداء بإمرئ القيس الذي كان«يصطفي» أجمل أشعار الجن ، وانتهاء بنزار قباني الذي فصّل عباءته«من جلد النساء» . ولم يوجد شاعر عربي

واحد لم يتغزل في نفسه (وفي شعره!) . المتنبي عيّن «الدهر» موظفاً في الأرشيف يصوّر قصائده ويوزعها . وشوقي نصب نفسه متحدثاً رسمياً «للشرق» في الأفراح والأتراح . وكل شويعر أو متشاعر أو شعرور يعتقد أن شعره الركيك سيدخل حبيبته التاريخ .

يجيء البيت الذي نحن بصدده اليوم بمثابة النشاز الذي يصّك الآذان ويجرح المشاعر ، آذان سادتي الشعراء ومشاعرهم . لا يكتفي القائل المجهول بالتقليل من شأن الشعر ولكنه يصف ناظميه بالجنون . لا عجب إذا ظل صاحب هذا البيت «الفلتة» مجهولا . ومن حسن حظه أنه ظل مجهولا وإلا لداهمته ، في ليلة ليلاء ، كتيبة من الشعراء مدججة بالألسنة القاتلة والأقلام المسمومة وتعاملت معه كما تتعامل إسرائيل مع أطفال فلسطين وشيوخها ونسائها .

إني لـه عن دمي المسـفـوك مُـعـتـذِرٌ

أقـولُ : حـملْتـه في سـفكهِ تعـبـا !

ابن سهل الأندلسي

الماسوشية ، التلّذذ بتعذيب الذات ، مرض عرفته البشرية في كل زمان ومكان قبل أن يعثر على الاسم المعاصر الذي نعرفه به اليوم . وفي كل مرّة أتأمّل فيها تراثنا الشعري العربي أعود مذهولاً ، وخائفاً بعض الشيء ، من تفشي الماسوشية في هذا التراث . المضروب يشتاق إلى الضارب . والمهجور يحنّ إلى الهاجر . والمريض يتمنى العافية لمسبب السقم . والمسهد سعيد بنوم من علمه السهد . والحبيب الذي تقطع يسراه يتطوع بتقديم اليمنى . وحتى «قبور أهل العشق» عليها «تراب الذل» . وهلّم جرا .

ومن الشعر الفصيح انتقلت عدوى الماسوشية إلى شعر الأغنيات الدارج . يتمنى الحبيب لو كان «شبشباً» في قدم المحبوب ، والمنسي لا يفكر إلا في الناسي . والمظلوم لا يريد إلا الظالم . وعـزة الجـمـال لا معنى لها بدون ذليل يعشقها . وأكثر كلمة يسمعها المحبوب هي

«ارحمني» أو «ارحم عذابي معك» يخيّل اليّ أحيانا أنني لو استثنيت اغاني فيروز وماجدة الرومي . ولم أعثر على أغنية عربية واحدة تخلو تماماً من الماسوشية ، أو من وجهها الآخر السادية .

وهذا البيت قمة القمم في الماسوشية . لا يكتفي شاعرنا الذبيح بقبول مصيره راضياً «كالعادة» ولا يكتفي بإعلان حبّه الذي لم يتغير للذابح«كالعادة» . ولكنه ، في شطحة عجيبة ، يقدّم الاعتذار لمن ذبحه ، وملء قلبه الشفقة ، متألماً للعناء الذي انطوت عليه عملية الذبح .

على علماء النفس العرب أن يبحثوا عن جذور هذه الظاهرة المرضية في ثقافتنا . وأول سؤال عليهم أن يجيبوا عليه هو : لماذا ضرب زيد عمراً بدل من أن يقابله أو يعانقه أو يصافحه أو ينجده او يسعفه؟! .

نعود إلى بيتنا العجيب . لا أدري لماذا أشعر كلما قرأته أنه يعبّر بصدق نادر عن مشاعر العرب الحقيقية نحو إسرائيل .

وتكلّمـــوا في أمـــرِ كلٍّ عظيـــمـــة
لو كَنتَ حــاضـرَهم بهــا لم يَنبِـســوا

المهلهل

من منّا لم تستهوه حكاية المهلهل ، أو الزير سالم كما تحولت في الخيال الشعبي؟ ومن منا لم يعجب بملحمة الثأر العجيبة التي خاضها أمير الانتقام بعد معتقل أخيه «أعزّ العرب» كليب؟ ومن منا لم تهزه قصيدة أمل دنقل الرائعة «لا تصالح» التي كتبها على لسان كليب يطلب فيها من أخيه ألا يصالح القتلة «ولو قيل راس براس؟»

في هذا البيت يتحدّث المهلهل عن الفراغ الهائل الذي تركه «أعز العرب» . انعقد المجلس الذي لم يكن لينعقد في حضوره . وبدأ الناس العاديون يتحدثون في الأمور العظيمة (أو السياسة بتعبير هذه الأيام) وهو الذين لم يكونو يجرؤون على النطق بكلمة في وجود رجل كان أكبر من الحياة . هل هناك حضور أروع من هذا الحضور ؟ وهل هناك غياب أفجع من هذا الغياب ؟

ولكن !

كان «أعز العرب» في الحقيقة أكثرهم طغياناً . ولّقب بكليب لأنه كان يطلق كلبه في الصحاري ويجعل من كل بقعة يمر بها الكلب المدلّل حمى حراماً لا يحق لأحد أن يمشي عليه . وكان اغتيال كليب دفاعاً مشروعاً عن حرية البدوي الذي ولد حراً كالنسيم في أن يجوب صحاريه حراً كالنسيم ، واجتماع الناس للتشاور بعد مصرع كليب ليس جريمة شنعاء . وكلام الناس في شؤونهم مظهر صحة وعافية وديموقراطية . ومع ذلك لا نزال نعجب بأبيات المهلهل التي تتحدث عن «بطولات» أخيه .

أتساءل أحياناً : هل كان الصديق الدكتور عبدالله الغذامي على حق حين دعانا إلى البحث عن جذور الإستبداد العربي في الشعر العربي ؟

فقلتُ «سقى اللهُ الحمى دِيمَ الحَيا !»

فقلن : «سقاك الله بالسم مُنقَعا !»

الصمة القشيري

قصيدة الصمة القشيري التي استخرجت منها هذا البيت جميلة جداً . وفيها أبيات عديدة مؤثّرة ذائعة الصيت . ولكنني أتوقف اليوم عند هذا البيت لأنه يتحدث ، بصراحة آسرة ، عن تجربة طريفة من التجارب البشرية وهي تجربة «المعاكسة» .

«والمعاكسة» هي تعرض الفتيان - والكهول أحياناً ! - للفاتنات العابرات بكلام يأملون أن يؤدي إلى الأشياء التي فصّلها شوقي في بيته المعروف . وفي مصر الشقيقة يتميز المعاكسون ببلاغة لا أعتقد أن هناك ما يشبهها في شرق أو غرب (في الغرب كثيراً ما يكتفي المعاكسون بالتصفير !) . الفتاة ، موضع «المعاكسة» ، تتحول ، فوراً إلى «قمر» . والأرض التي تمشي عليها «القمر» ، فوق البيعة إلى «باشا» . رمز الرفعة والوجاهة . وقد يتطوع المعاكس بأن يحضر للقمر / الباشا «بغاشة» ، وهي حلوى فاخرة . إلا أن كل هذه المعاكسات الغزلية لا

تحظى ، في العادة ، إلا برد واحد من «القمر» هو «يا سمّ !» .

والصمة القشيري يروي لنا في هذا البيت ما حدث له حين حاول معاكسة سرب من «البيض النواهد» . أراد صاحبنا مدخلاً محايداً ملائماً لبدء الحديث فلم يجد أفضل من الموضوع القريب من النفس العربية : المطر . تعرّض شاعرنا لسرب الحسان ، داعياً الله أن يسقي الحمى دَيِمِ الحيا ، آملاً أن تؤدي هذه المقدمة إلى حديث يطول . إلا أن «البيض النواهد» أدركن الحيلة ، على الفور ، وكان ردهن دعاءً إلى الله أن يسقي الشاعر المعاكس السُم !

«يا سم!» . تتردد في الشوارع العربية اليوم . ويا «سم» ترددت على هضاب نجد قبل ألف سنة . ترى هل هناك جديد في الكوميديا البشرية ؟ .

الظلمة باردة

لأن النجوم لا يثق بعضها ببعض

دبليو . اس ميرون (شاعر امريكي)

لا يكاد يوجد في أعمالنا اليومية عمل واحد لا يتطلب ثقة كبيرة ، وعمياء أحياناً ، في الآخرين . نحن نركب الحافلة لأننا نثق في قدرة السائق على تجنب الحوادث . ونسافر بالطائرة واثقين من خبرة الطيّار ومهارته . ونأكل في المطاعم واثقين أن الطبّاخ لم يدسّ لنا السم في الدسم . ونطلب رأي الأطباء واثقين أنهم لن يغشونا . وهلمّ جراً .

وماذا سيحدث لي لو فقدت ثقتي في الناس ؟ لن أخرج من داري خوفاً من المجرمين . ولن أقرأ كتاباً لأني أخشى أن يكون مليئاً بالأكاذيب . ولن أشرب الماء خوفاً من إهمال الموظفين في مصلحة المياه . ولن أتزوج حتّى لا تسبب إمرأة لي الصداع الدائم . ولن أنجب حتى لا تجيء المشاكل مع الأولاد . باختصار شديد ، سوف تتوقف حياتي .

وماذا سيحدث للعالم لو تطايرت الثقة من نفوس البشر ؟ سوف يتحول إلى غابة من الوحوش يبيد بعضها بعضاً حتى لا يبقى أحد . ستنتهي الحضارة ثم تنتهي الحياة نفسها . العالم الذي يدور بسبب الحب ، كما تقول العبارة الإنجليزية الشهيرة ، سوف يتوقف عن حركته مع غياب الحب .

حسناً ! إذا راودك سوء الظن في أحد ، أو في شيء ، فحاول جهدك ألا تستسلم لهذا الشعور السلبي . حاول أن تتصوّر القشعريرة التي ستصاب بها في ليلة مظلمة فقدت نجومها الثقة بنجومها !

لا بارك الله في الغواني ، فما
يُصبحن إلاّ لهن مُطلَّبُ

عبد الله بن قيس الرقيات

ماذا تريد المرأة من زوجها ؟ المستحيل ! أن يحبها (ياللأنانية !) . وأن يخلص لها (يا للتطرف !) . وأن تتلقى منه هدية بين الحين والحين (يا للطمع !) وأن تستلم «المصروف» الكافي للبيت والأولاد (يا للجشع !) وأن تعيش في مستوى لا يختلف عن مستوى صديقاتها (يا للحسد !) .

وفي المقابل ، ماذا يريد الزوج من زوجته ؟ أقلّ القليل ! أن تكون طبّاخة بارعة مثل أمّه ، بدون روائح أمه . وأن تبدو ، أمامه ، جميلة جداً ، أنيقة جداً ، على أن لا يكلف المكياج وتوابعه هللة أو ريالاً . وأن تتلقى بحبور سهره الليلي مع اصدقائه . وأن تستقبل بسرور قراره بقضاء الإجازة بعيداً عنها . وأن تكوي ثيابه بنفسها ، وتطيبها ببخور العود . وأن تشرف على تربية الأولاد إشرافاً تاماً ولو تجاوز عددهم «الدرزن» . وأن تصمت حين يعود من العمل مهموماً . وأن تروي له

آخر النكت حين يكون بحاجة إلى تسلية . وأن تمتنع امتناعاً تاماً عن مناقشة مواضيع سخيفة مثل ارتفاع الأسعار في الأسواق والحاجة إلى مربية وجمال الصيف في لبنان . وألا تنحدر إلى مستوى المقارنات الصبيانية بين وضعها ووضع ابنة عمها أو أختها . ويستحسن فوق هذا كله ، أن تكون مقطوعة من شجرة ، وأن تعمل وتتحمل معظم ميزانية المنزل ، وأن تكون ذات إلمام لا بأس به بمبادئ التمريض .

وصاحبنا الشاعر القديم يملك من الصفاقة ما يسمح له بتعيير الغواني (والمقصود النساء عموماً واجمالاً) بكثرة المطالب .

يا عبدالله بن قيس الرقيات ! إذا لم تستْح فانظمُ ما شئت !

وجدتُ بها وجُــــدَ المُضّــل بِعيَــــرهَ
بمكّــــــةَ والحــجُّــاجُ غــادٍ ورائـــــحُ

ابن الدمينة

أيام دراستي الابتدائية في البحرين كانت في المنهج مادة تسمى «القصص» . وهذه المادة ، حصة في الأسبوع ، تمتاز بأنها تخلو من الامتحانات والواجبات وبقية الأشياء ثقيلة الدم . في هذه المادة كان المدّرس يحكي قصة من اختياره ، ويسمح لمن يريد من الطلبة بأن يروي ما يشاء من قصص .

كان الأستاذ أحمد يتيم ، رحمه الله ، يدرسنا هذه المادة . وكان قارئاً نهماً ، وكان يروي القصص بأسلوبٍ مشوّق يحوّلها إلى أفلام أو مسرحيات . ومن هذا الأستاذ سمعت أسطورة الملح . جمع ملك بناته الثلاث وطلب من كل واحدة أن تصف مدى حبها له . قالت الكبرى أنها تحبه أكثر مما تحب الذهب . وقالت الوسطى أنها تحبه أكثر مما تحب الماس . أما الصغرى ، الصادقة ، فاكتفت بالقول أنها تحبه اكثر مما تحب الملح . غضب الملك وطرد ابنته الصغيرة من المملكة . مع ذهابها

اختفى الملح . ومع اختفائه انتشرت الأوبئة والأمراض وفتكت بالناس . أوشك الملك نفسه أن يموت لولا أنه أدرك خطأه ، وأرجع ابنته ، واعتذر لها ، وعاش الجميع في سلام ووئام حتى أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات .

فيما بعد ، تعرفت على عدة تفريعات من الأسطورة ، منها مسرحية شكسبير الشهيرة «الملك لير» ، إلا أن النص الأصلي هو الذي ظل عالقاً بذهني . ومع النص جاء الدرس : الصدق البسيط أفضل من المبالغات الكاذبة وأجمل .

الصدق البسيط : هذا محور بيت اليوم . لا يدعّي شاعرنا أن وجده بالحبيبة وجد من فقد عينه . أو من أضاع كنوز سليمان ، أو من صحا ليجد الدنيا وقد خلت من الناس كلهم . اكتفى شاعرنا بتصوير الحقيقة ، والذين يعرفون العلاقة الخاصة بين العربي وبعيره ، والذين يعرفون كيف تزدحم مكة المكرمة بالحج أيام الموسم ، يدركون أن البيت يقول في كلمات واضحة قليلة ما يعجز عن قوله ديوان كامل مليء بالشطحات والتهويل .

يا إبن الدمينة ! أرجو أنك وجدت بعيرك !

فواشوقي إلى نادٍ خليٍّ
لعلّي باسم من أهوى أُنادي

علية بنت المهدي

في حياة علية بنت المهدي، كما نقلتها لنا الحكايات أو الأساطير، الكثير من التناقض. فهي من ناحية، طبقاً لإسحاق الموصلي، «إذا طهرت لزمت المحراب وقرأت القرآن». وكانت، طبقاً لجلال الدين السيوطي، «من أعف الناس». ومن ناحية أخرى تنقل إلينا الحكايات، أو الأساطير، جانباً مختلفاً بعض الشيء. يقول السيوطي : «وكانت تكاتب الأشعار خادمين : يقال لأحدهما «طل» وتكني عنه «بظل»، والآخر «رشا» وتكني عنه «بزينب» على أنهما جاريتان»، ويضيف : «وكان الرشيد قد حلف عليها ألا تكلم طلاً ولا تذكر إسمه». . وفي وقت لاحق وهبها طلاً !!

كنت، دوماً، من المؤمنين أن في سيرة الرشيد، وإخوانه، الكثير من عبق ألف ليلة وليلة. وكنت، دوماً، أرى أن الإصرار على أن الرشيد إما أن يكون غازياً مجاهداً طيلة الوقت، أوعابثاً ماجناً دهره

كله ، فيه من الهوى المتطرف مالا يليق بالبحث العلمي . والأمر ، بعد ، للمؤرخين العرب الذين سيخرجون ، آجلاً أو عاجلاً ، بصورة للرشيد لا تنفي عنه ما نعرفه في الناس جميعاً من جوانب الضعف البشرية ، ولا تخلّ ، في الوقت نفسه ، بتميزه الذي لا يجادل فيه أحد .

حديثي اليوم عن بيت عليّة . لا يوجد في رأيي ، من حيث المبدأ ، فرق بين أدب الرجل وأدب المرأة ، سواء كنا بصدد شعر أو نثر . إلا أنك تلمح بين الحين والحين شعراً تجزم دون أن تعرف من قاله أنه شعر امرأة . هناك ذلك الخوف الأنثوي في مجتمع السيطرة الذكورية . وهناك ذلك التحايل الأنثوي على الديكتاتورية الذكورية . وهناك تلك الرقّة التي لا تجيء من شاعر فحل .

أجزم – وأجري على الله – أن هذه الصيحة من خلف الأسوار ، من شعر علية بنت المهدي ، ولا أجزم بشيء غير هذا عنها . . . أو عن «رشا» أو «زينب» .

دعى الخيال ينطلق حراً
لا سعادة في الوطن

كيتس

لا أعرف لماذا يعتقد الإنسان أنه مظلوم بين بني جلدته ، مجهول القدر ، مهضوم الحق ، وأنه لو سافر أو هاجر لوجد في بلاد بعيدة قوماً يعرفون قدره ، ويحترمون موهبته ، ويبجّلونه ويعزّونه ، ولكنني أعرف أن هذا اعتقاد شائع بين العرب ، قديماً وحديثاً ، ولولا شيوعه لما شاعت الأمثال والأقوال التي تندّد بظلم الأهل وتدعو إلى التغرب في تراثنا القديم والحديث .

نقول أن «زامر الحي لا يطرب» . ونؤكد أنه «لا كرامة لنبي في وطنه» . وننشد «سافر تجد عوضاً عمن تفارقه» . ونضيف «وسافر ففي الأسفار خمس فوائد» . ونحلّل هذا القلق الوجودي - إن صح التعبير - بأكثر من سبب :«فالعود في أرضه نوع من الحطب» ، «وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى» ، ولو كانت الإقامة تفيد «لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل» . وشعرنا الحديث لا يملّ الحديث عن

المنافي والغربة - ويغنينا استعراض أسماء عدد من الدواوين عن استعراض القصائد .

على أنه لا يجب أن نتصوّر أن هذه النزعة تقف عند العرب وحدهم . حقيقة الأمر أنها نزعة عالمية . والمثل الإنجليزي يتحدث عن «العشب الأكثر اخضراراً في الجانب الآخر» . والجملة التي كانت شعار أمريكا كلها في القرن التاسع عشر كانت «اذهب غرباً ! اذهب غرباً !» وفي استفتاء أجري مؤخراً في بريطانيا أجاب نصف الذين تناولتهم العيّنة أنهم يرغبون في الهجرة .

حسناً ! كيتس بدوره يعلن أن لا سعادة في الوطن . في هذا المجال لا يوجد فروق بيننا وبين الخواجات ولا يوجد ما يبرر عقدة الخواجة ، والحمد لله .

ذُبح كل قبيح
فأصبح العالم جميلا

إيريك فريد - النمسا -

هناك نزعة لدى البشر ، أو لدى بعضهم على أية حال ، إلى معالجة الخطأ بخطأ مثله أو أكبر منه . وغنيٌّ عن الذكر أن هذه «المعالجة» تقود إلى حلقة مفرغة كثيراً ما تنتهي بمأساة .

في التشريع ، كثيراً ما يعالج خطأ فردي واحد بقانون يُجرّم عشرات الأشياء ويعقّد حياة الناس جميعاً . وفي السياسة ، كثيراً ما ترد الدولة على استفزاز محدود بعمل عدواني غير محدود ، قد يتحوّل إلى حرب شاملة . وفي الحياة اليومية ، كثيراً ما نقابل هفوة صديق برد فعل عنيف ينهي الصداقة . وفي الطب ، كثيراً ما يصدق قول شوقي «وأخف من بعض الدواء الداء» .

وشاعرنا يسخر من هذه العقلية سخرية مريرة . لا شك أن العالم مليء بالقبح ، ولكن ماذا نفعل بهذا القبح ؟ هل نحاول أن نتعايش معه ؟ هل نحاول أن نتجاهله ؟ هل نحاول تجميله قليلاً ؟ هذه هي

ردود الفعل المنطقية . لكن ماذا لوطبقنا النزعة البشرية التي تعالج الخطأ بخطأ ؟ لن يكون أمامنا من سبيل سوى إزالة القبح نهائياً . وإذا ما تذكرنا أن القبح مسألة نسبية أدركنا أن كل إنسان سوف يجد حوله كثيراً من الأشياء القبيحة التي قد أعتبرها أنا أو أنت جميلة وسيعمل على إزالتها .

والنتيجة ؟ لن نرى شجرة في شارع لأن بعضنا يرى ان بعض الأشجار قبيحة . لن نرى ديوان شعر في مكتبة لأن بعضنا يتصور أن بعض الأشعار قبيحة . لن نسمع أغنية واحدة لأن بعضنا يرى قبحاً في الغناء . لن نرى ربما رجلاً واحداً أو امرأة واحدة - لأنه لا يوجد رجل واحد ولا امرأة واحدة لا يرى فيهما أحد قدراً من القبح . والنتيجة الرائعة : «ذُبح كل قبيح . فأصبح العالم جميلاً» !

لو أنهما مُلكي ، ولي ضيعةٌ
نصبتُها للطير فزّاعة

إبن الرومي

قلتُ في مكان آخر (في مسرحيتي «هما» تحديداً) أن الهجاء فن لا علاقة له بالشتم . بوسع كل من يشاء أن يشتم ولكن ليس بوسع كل من يشاء أن يهجو . الفرق بين الهجاء والشتم هو الفرق بين كاريكتير لاذع لا يقدر على رسمه إلا الفنان الموهوب وبين شخبطة عشوائية يستطع أي طفل أن ينجزها في ثانية واحدة .

وابن الرومي لم يشتهر بسبب أبياته الهجائية المقذعة (وهناك الكثير منها) . ولكنه اشتهر بسبب أبياته الهجائية الساخرة (وهناك قدر أقل منها) . والبيت الذي نحن بصدده نموذج من نماذج سخريته اللاذعة .

المهجوة جارية مغنية اسمُها - ولم أسمّها أنا ! - «شنطف» . وفي ديوان ابن الرومي قصائد عديدة طويلة عنها معظمها لا يصلح لإعادة نشره هذه الأيام . ولعل هذا البيت «أهجى» ما قاله فيها . من ناحية ،

هناك تلك الأمنية الخفية / الظاهرة في أن تصبح الجارية ملكه . ومن ناحية ثانية ، هناك ذاك الطمع الشهير الذي جعله يودّ أن تكون له ضيعة . ومن ناحية ثالثة ، هناك هذه الصورة المفزعة - فزّاعة الطير - والتي يزيدها هولاً أن التفاصيل تُركت لخيال القارئ ، والخيال يحمل من العجائب والغرائب ما لا تقوى الحقيقة على حمله .

والحقيقة هي أنني أعتقد ، جازماً ، أن هذا الهجاء كله سببه أن شاعرنا هام بالجارية المغنية ، وأنها لم تبادره مشاعره ، فنالت ما تستحقه ، «وعداوة الشعراء بئس المقتنى» .

سوف تصل دائماً إلى هذه المدينة

لا تحلم بغيرها

س . ب . كافافي (اليونان)

هل منا إنسان لا يحلم بمدينة شوارعها من ذهب وأشجارها من زمرد ونساؤها من «قطايف» ؟ وهل منّا من لم يغمض عينيه حين تضيق به الدنيا ، ليرى ، عبر حلم اليقظة ، الدنيا التي تمنحه السعادة ؟ وهل منّا من لم يضق بجيرانه وشارعه وعمله (وربما زوجته) وفكر في النزوح إلى جيران وشوارع جدد وعمل مختلف (ولندع موضوع الزوجة جانباً !) ؟ أعتقد أن الإجابة على هذه الأسئلة كلها بالنفي : جميعنا نحلم بتلك المدينة المسحورة .

ولكن أين تقع هذه المدينة ؟ منظرّو السياسة يزعمون أنها وجدت في عصر ذهبي قبل أن تعرف المجتمعات الحكومة والحاكمين . وكاتبو ألف ليلة وليلة - وكاتباتها ! - يضعونها ضمن جزيرة من جزائر الواق الواق (وربّما جزيرة البنات تحديداً) . والفلاسفة يقولون أنها مدينة فاضلة يمكن أن تتحقق عندما يصبح جميع المواطنين فلاسفة .

والشعراء يزعمون أنها تقع في مكان ما في جنوب عبقر . والعلماء يستطيعون نقلك إليها عبر «الحقيقة تقريباً» أو «الأكشوال ريالتي» .

صاحبنا الشاعر اليوناني ينصحك ألا تضيع وقتك في البحث عنها . صاحبنا يقول لك أن كل الطرق تقود إلى مدينة واحدة من العبث البحث عن غيرها . صاحبنا يؤكد أن روحك هي المدينة الوحيدة التي يمكن ان تسكنها أو تسافر منها أو تسافر إليها ، وأحسبه ، مع الاعتذار لجزائر الواق الواق ، صادقاً .

يا عــبــقــريــاً في شنــاعــتــه
ولدتــك امــك وهي مــعــتــذرْة

ناجي

كان إبراهيم ناجي إنساناً رقيقاً ، ذا حساسية مفرطة . وقد بلغ من رهافة حسّه أنه عندما قرأ نقد طه حسين القاسي لديوانه الأول قرّر التوقف ، نهائياً ، عن كتابة الشعر (من حسن حظنا أنه غيّر رأيه !) . وقد وصفه إبراهيم المصري ، أحد أصدقائه الخُلّص فقال عنه «يحب الجميع ، ويخلص ، ويخدم الجميع ، ولا يداهن ولا يغتاب ولا يشي ولا يتكبر ولولا بعض الحياء في طبعه أكسبة إياه فرط الأدب وراضه على الصفحِ والتجاوز من حيث لا يجب التجاوز والصفح ، لما وجدت أي مغمز فيه والذين عرفوا شاعرنا الرومانسي وكتبوا عنه ، يؤكّدون وصف صديقه هذا ، كلمة كلمة .

لا بُدّ أن الكيل قد طفح بناجي حين قال هذا البيت في هجاء ثقيل اكتفى بذكر اسمه الأول : عبد الحميد . لا بد أنه ذاق الأمرين قبل أن يكتب هجاء ، أي نوع من الهجاء ، في أحد ، في أي إنسان .

وجاء الهجاء ، ككل هجاء راق ، في شكل رسم كاريكاتيري لاذع موجع . المهجو ليس دميماً فحسب ، ولكنه عبقريّ الدمامة . والأم التي ترى في وليدها ، حتى لو كان قرداً ، أجمل الأطفال في الدنيا تخلت ، في حالة صاحبنا ، عن غريزة الأم لتلد هذا الطفل البشع وهي معتذرة عما تسببه بشاعته للدنيا من ألم . ولا أشك لحظة أن مهنة ناجي ، الطب ، كانت ذات أثر ملموس في عثوره على هذه الصورة العجيبة . مناظر الولادة مشهد يومي مألوف في حياة الأطباء .

قيل قديماً «اتقوا غضبة الحليم» وأضيف «وثورة الشاعر الرقيق !» .

لأعــرّفنــــكَ بعــــد المــــوتِ تندبني
وفي حـــيــاتيَ مـــا زوّدتنـــــي زادي

عبيد بن الأبرص

يعــيش الرجل النابه بيننا دون أن يحظى بأي نوع من أنواع التكريم . وبمجرّد وفاته تنهال قصائد المدح ، وتنهمر دموع المفجوعين ، ونكتشف أننا كنا نحيا مع عبقري من العباقرة دون أن نشعر . ونتنادى إلى تكريم الأحياء النوابغ قبل أن يرحلوا ولا يحدث شيء . ويظل الأحياء النوابغ محرومين من التقدير ، وربما محرومين من أبسط مقومات الحياة الكريمة ، حتى يموت الواحد منهم ، وتنفجر من جديد براكين الدموع وتهطل غمائم التقريظ .

قد يتصور الواحد منّا ، أو نتصوّر كلنا ، أن هذا مظهر من مظاهر الحياة المعاصرة التي نصمها بكل وصمة في القاموس : الرياء ، النفاق ، المجاملة ، الحسد ، المعايير المزدوجة ، الجحود ، النكران ، إلى آخر القائمة المريعة . إلا أن الحقيقة أن «اكتشاف» الإنسان بعد موته غريزة متأصلة في الإنسان ، نظلم أنفسنا إذا تصورنا أننا ، أبناء هذا

العصر ، اكتسبناها ضمن ما اكتسبناه من شرور العصر ومساوئه .

والدليل ، لمن أراد الدليل ، في بيت عبيد بن الأبرص وهو يقول «لصاحبه» الذي لم يتكرّم عليه بلقمة زاد في حياته أنه سوف يندبه بعد رحيله وأحسب - ولا أعلم - أن ما توقعه حدث .

يقودنا هذا إلى بيت حكيم قاله شاعر حكيم :

وهكذا كان أهل الأرضُ مذ فطروا

فلا يظن جهولٌ أنهم فسَدوا

وقائل هذا البيت سيئ الظن بالطبيعة الإنسانية . وقد بلغ من سوء ظنه بالبشر أنه قرّر ألاّ ينجب أولاداً يزيدون من عدد البشر !

جنونُكَ مجنونٌ ولستَ بواجدٍ
طبيباً يداوي من جنونِ جنونِ

الإمام الشافعي

شاعت في أدبنا الحديث ، شعراً ونثراً ، أساليب رأى فيها القرّاء ، أو بعضهم على أي حال ، قمّة الروعة . ومن هذه الأساليب أن تكرّر الصفة وصفاً يوجد في الموصوف ذاته أو أن يكون هناك مضاف إليه لا يضيف شيئاً جديداً إلى المضاف (مع الاعتذار عن هذه الجملة القبيحة !) ومن أمثلة ذلك : «غضب الغضب» أو «الغضب الغاضب» و «جمال الجمال» أو «الجمال الجميل» و «ربيع الربيع» و«روح الروح» و «قلب القلب» ، وهلم جراً . .

أعتقد أن من استخدم تعبيراً كهذا شعر بالنشوة وهو يتصوّر أنه يخرج على الدنيا بتركيب لم يسبق له مثيل . وأعتقد أن عدداً من القرّاء هتفوا للأدب الجديد وتعبيراته المبتكرة التي خلا منه الأدب القديم بتعبيراته الجامدة .

وها نحن أولاء أمام الإمام الشافعي يحدثنا عن «الجنون المجنون» ،

وعن استحالة العثور على طبيب يداوي «جنون الجنون» . يحسن والحالة هذه ، بأي «مجدّد» قبل أن يسارع إعلان أنه أول من «جدّد» أن يتريث قليلاً ، فقد يكون حفظ شيئاً وغابت عنه أشياء كما قال شاعرنا القديم المُجدّد .

من حسن حظ الفقه أنه استأثر بوقت الإمام الشافعي كله ، ومن سوء حظ الشعر أن هذا الشعر الملهم لم يستطع أن يعطي الشعر قسطاً أكبر من القسط الذي حظي به الفقه ، ولو فعل لكان ، ربما ، كما وصف نفسه «أشعر من لبيد» .

فــأمطرَتْ لؤلؤاً من نرجسٍ وسَـــقَتْ
ورداً وعـــضّتْ على العَنّاب بالبَـــرَدِ

يزيد بن معاوية

لا بُدّ حين نُحلّل السبب في سيرورة بيت من الشعر ، أو قصيدة كاملة ، أن نأخذ أذواق المستمعين في الفترة التي قيل فيها البيت ، أو ألقيت فيها القصيدة ، بعين الاعتبار . بدون أن نفعل ذلك نتورّط في شيء من العنصرية يمكننا أن نسميه «عنصرية الحداثة» ، ومؤداه أن نُسقط آراءنا الحالية السائدة على إنتاج أدبي خرج قبل قرون عديدة ، وأن نلغي ، تماماً ، ذوق أجيال كاملة لصالح ذوق هذا الجيل .

وهذا البيت ذاع وشاع ، وردده المطربون من المحيط إلى الخليج ، ولم يبق مثقف ، أو نصف مثقف عربي ، إلا وحفظه . يتكون البيت كله من تشبيهات : الدمع كاللؤلؤ ، والعيون كالنرجس ، والخدود كالورد ، والأصابع كالعنّاب ، والأسنان كالبرد ، خمسة تشبيهات في بيت واحد ! أعتقد أن هذا رقم قياسي أو من الأرقام القياسية في الشعر العربي كلّه .

تحوّل هذا البيت ، في تصوّري ، إلى لوحة جميلة عند الذين استمعوا إليه عندما كتبه الشاعر . وكلما تصورت الألوان المختلفة التي يعج بها البيت وجدت نفسي مشدوداً إلى هذه الرقصة البديعة من الضوء واللون . وعلى العكس ، لم ير ناقد حديث في البيت سوى «سلطة الفواكه» !

قلت هذا الكلام ، أو شيئاً يشبهه ، قبل أكثر من عشرين سنة في محاضرة في جامعة الملك سعود . ووقتها تصدّى لي الصديق الدكتور فهد العرابي الحارثي ، وقد كان عاد لتوّه من باريس يتأبط شر الدكتوراه ، ليقول أنه يكره هذا البيت وسوف يظل يكرهه . ترى هل خفّف مرور السنين من تعصب فهد أم أنه لا يزال يمقت اللؤلؤ المتساقط من النرجس ؟!

أنكرتُ نفسَي بعد طول فراقه
فكأنني ديوانُ شعرٍ تُرجما

الشاعرالقروي

يستمطر الشاعر العربي الغيث على ديار الحبيبة ، ولو ترجمنا بيتاً بهذا المعنى لحسناء بريطانية لاعتقدت أن الشاعر من أعداء الأنجلوسكسونية . كما يتمنّى الشاعر العربي أن يسقى المطر تراب الحبيب المدفون ، ولوترجمنا بيتاً يحمل هذه الأمنية لأرملة فرنسية لبصقت في وجه الشاعر . ويبدي الشعر العربي الضيق الشديد من الحر والشمس ولو ترجمنا هذه القصائد لضحايا الثلج والصقيع في الغرب لاعتبروا الشاعر من عتاة الماسوشيين المولعين بتعذيب الذات . ويفرط الشاعر العربي في مدح سخاء الممدوح ، وسيبدو هذا المدح في نظر الغربي تمجيداً للسفه والسرف . وعندما يقسو الشاعر العربي ، في هجو إنسان يصفه بالقرد ، والقرد في عيون الغربيين من الحيوانات الظريفة ، والوسيمة ! ، ولا ننسى أن عدداً لا يستهان به من الغربيين يعتبرون القرد أباهم الأكبر . ويتحدث عمّنا الضخم المتنبي عن امرأة

ذات ردف عظيم «يكاد عند القيام يقعدها» ، ولوترجمنا هذا البيت لعارضة أزياء معاصرة لظنت أن عمّنا الضخم يصف عروس فرانكشتاين . ولا يسأم الشاعر العربي الحديث عن الحبيبة التي تزوره كل ليلة في الأحلام ، ولو ترجمنا هذا الشعر لطبيب نفساني نمساوي لأمر بإدخال الشاعر أقرب مصحة نفسية . ولا يمل الشاعر العربي الحديث عن «العذال والحسّاد» ولو عرض هذا الشعر على لجنة طبية غربية لقرّرت ، بالإجماع ، أن القائل مبتلى بمرض البارانويا .

رحم الله شاعرنا القروي ! لا شيء أفظع غربة من ديوان الشعر المترجم : لا شيء !

يستطيع الرذاذ أن يحول الرايات
إلى خرق مُبلّلة

جوليس سوبرفيل (فرنسا)

ما الذي حدث لهتلر الذي كانت كتائبه تفتح الدنيا إقليماً بعد إقليم ؟ تطايرت الفتوحات ، وإحُتلّت المانيا التي استسلمت بلا قيد ولا شرط ، وأصبح كتاب هتلر «كفاحي» ممنوعاً في المانيا . وماذا حدث لموسوليني الذي كان يصرخ أمام الملايين معلناً أن احتلال الحبشة هو الخطوة الأولى نحو استعادة أمجاد روما القديمة ؟ مات موسوليني مُعلّقاً على عمود كهرباء ، وأصبحت الكلمة التي تشير إلى حزبه القديم ، الفاشية ، شتيمة في كل اللغات .

الشمس تطلع دون أن تفرح لميلاد طاغية ، وتغرب دون أن تذرف دمعة على غياب طاغية . والفراشات تلعب في الحقول ، لا يعنيها في شيء أن الديكتاتور رقم ١ حشد مليون جندي على حدود الديكتاتور رقم ٢ ، أو أن الدكتاتور رقم ٣ انتصر على الدكتاتور رقم ٤ . والزهور تطلع كل ربيع بصرف النظر عن الحاكم سعيداً في البيت الأبيض أو

في الكرملين . والرطب ينضج في الصيف ، سواء أقيمت استعراضات عسكرية في الشوارع أو لم تقم . والطيور تغرد سواء صادر المراقبون الكتب أو لم يصادروها . والنجوم تلمع كل مساء ، سواء كانت الهيمنة لإمبراطورية الإسكندر الأكبر أو للإمبراطورية البريطانية .

إن أضعف ما في الطبيعة أقوى من كل الطغاة والفاتحين والأباطرة . ألا يكفي أن قطرات الرذاذ تستطيع أن تحول أعلام الطغاة والفاتحين والأباطرة إلى خرق مبلّلة ؟

إني أغـار . . . فليتَ الناس مـا خلقـوا

أو ليـتـهـم خلقـوا من غـيـر أجـفـان

زكي مبارك

كـان «الدكـاترة» زكي مـبـارك - ولا أدري لماذا لـم يسمٍّ نفـسـه «الدكتورين» وهو لا يحمل سوى شهادتي دكتوراه ! - شخصية غريبة الأطوار . كان معتداً بنفسه إلى حد الجنون ، أو إلى ما يتجاوز الجنون بقليل . وكان هذا الاعتداد يقطر من كل سطر كتبه ، قال عن نفسه «فما عرفت اللغة العربية في تاريخها القديم ، وتاريخها الحديث ، قلماً أمضى من قلمي أو بياناً أبلغ من بياني» . وكان من الطبيعي أن يؤدّي هذا الغرور المفرط إلى عداوات شديدة عكّرت حياة «الدكاترة» بقدر ما عكرت حياة أعدائه المنكودين .

لا يعنينا هذا الآن ، بقدر ما يعنينا ، أن «الدكاترة» كـان يعتبر نفسه ، لا أعظم الكتّاب في التاريخ فحسب ، بل أعظم الشعراء (فوق البيعة) . وعن موهبته الشعرية قال «ولن يستطيع ناقد متحذلق أن يكتب حرفاً في نقد هذا الديوان» . وقال «لقد نظمت أكثر من ثلاثين

ألف بيت في غرض واحد هو التغني بالجمال» .

حسناً ، مع تقديري لرأي «الدكاترة» في «أنفسهم» لا بد أن أقول «إنهم» كانوا شعراء من الدرجة الثالثة أو الرابعة . وأشك كثيراً أن التاريخ سيحتفظ بأكثر من بيتين أو ثلاثة من أبيات «التغني بالجمال» . ومع ذلك لا بُدّ من التسليم أن الاعتداد بالنفس يومض في عدد من أبيات «الدكاترة» على نحو يجعل الأبيات تستوقف القارئ . والاعتداد المطلق ، كثيراً ، ما يقود إلى الصدق المطلق . والصدق خصلة نفتقدها عند الشعراء الذين يعتبرون «أعذب الشعر أكذبه» . في هذا البيت يعبّر «الدكاترة» عن شعور غريزي مر بكل إنسان عرف الحب . جرأ «الدكاترة» على أن يقولوا ما يحسون به أما نحن ، بقيّة العشاق ، فقد آثرنا السلامة والتقية .

يَرُدُّ أنفاسَه كُرهاً . . . وتعطُفها

يدُ المنيّةِ . . . عطْفَ الريح للغُصُنِ

أبو تمام

لا بد لي أن أبدأ بالقول أني أعتقد أن أبا تمام شاعر كبير جداً . بل أن هناك من النقاد من يعتبره واحداً من أعظم الشعراء في تاريخنا . ولعل الناقد / الشاعر العربي الشهير أدونيس يعتبره أهم شعرائنا على الإطلاق . ولا بد لي ، بعد ذلك ، أن أضيف أن شعر أبي تمام ، في مجمله وأكثر تفاصيله ، لا يعجبني . وأنا أحرص ، دوماً ، على التفرقة بين ذوقي الشخصي ، وهو في النهاية قائم على اعتبارات شخصية خالصة ، وبين التقييم الموضوعي لشاعر ما ، وهو في النهاية ، قائم على أحكام تراكمت عبر السنين من قرّاء ونقّاد لهم مكانتهم التي أقدّرها - وآراؤهم التي أحترمها .

وكم يؤسفني أن أجد هذا التفريق الحاسم بين الذوق الشخصي والتقييم العام معدوماً في كثير من الكتابات العربية النقدية وشبه النقدية . الكاتب الذي لا يستسيغ شعر المتنبي لأي سبب من

الأسباب ينفي عنه صفة الشاعرية نهائياً . والناقد الذي لا يحب قصائد نزار قباني يذهب إلى أن نزار لم يكن شاعراً - وهلم جرّاً .

نعود إلى الشاعر الكبير الذي لا أحبه . أحسب أني لا أتذوّق شعره لأني أحس كلما قرأته أني أمام «صنعة» تصل إلى حدود «التصنع» ولا أكاد المس أثر التجربة الشخصية الدافئة المباشرة ، إلا في النادر القليل من شعره . والبيت الذي نحن بصدده من هذا النادر القليل . مشهد إنسان عزيز يموت دفع شاعرنا الكبير إلى رسم صورة للاحتضار فيها من الصدق ما يجعلها تبقى ، رغم السنين ، نابضة بالحياة . الأنفاس التي تخرج ، بصعوبة ، متحشرجة من الصدر ، إلاّ أن يد المنية تعيدها من حيث خرجت ، كما تثني الريح الغصن . كلما مررت بديوان أبي تمام ، أحسست بالحسرة لأن الحالات التي سمح فيها لعواطفه بأن تتغلب على «مهارته الحرفية» لا يكاد عددها يتجاوز عدد أصابع اليدين .

لفّـاء .. فـارعـةٌ .. مـهـذّبةٌ

البـــدانـةِ .. والـهِـــزالِ

عزيز أباظة

عزيز أباظة شاعر من الشعراء الكبار المظلومين . لم ينل عُشر ما يستحقه من ذيوع ، ولا ما يستحقه من تكريم . ويبدو لي ، والله أعلم ، أن هناك عدة أسباب تكمن وراء الظلم . رغم أن مسرحياته ، في مجملها ، لا تقل جمالاً عن مسرحيات شوقي ، إلاّ أن فضل الريادة منح المسرحيات الشوقية من البريق ما لم تحظ به المسرحيات الأباظية . وبعد ذلك كان عزيز أباظة يحمل لقب «باشا» ، وكان يتصرف كما يتصرف بقية الباشوات . وأذكر أني رأيته مرة في القاهرة في الخمسينات ينزل من سيارة كاديلك بوقار شديد ، ويحمل في يده منشة ، ويتصرف كما لو أن الباشوية لم تلغ ، وأن الثورة لم تقم . ولا شك أن «الباشا» أصبح غريباً في حقبة آيديولوجية كان النقاد اليساريون شعراءها ونقادها وقرّاءها . وبعد ذلك كله ، يبدو لي أن «الباشا» كان من الاعتداد بنفسه وبشِعره على نحو جعله يأبى أن

يمارس فن العلاقات العامة . قلت من قبل ، وأكرر هنا ، أن كل شاعر مشهور هو ، في الوقت نفسه ، خبير في العلاقات العامة .

البيت الذي نحن بصدده يضع حلاً جميلاً ونهائياً للمعضلة الأزلية عند الشعراء العرب : أيتهما أجمل الحبيبة النحيفة التي تتثنّى «كأن عظامها من خيزران» - أو الخرعوبة ذات الكفل الذي يعيق حركتها ويشل حركة المرور ؟ بتعبير رشيق اكتفى شاعرنا بالقوم «المُهذّب» ، ويستوي بعد ذلك أن يكون بديناً أو هزيلاً ، وأحسبه أرضى الجميع بقدر ما أرضى الفن .

من المؤسف أن معظم العرب لا يعرفون عزيز أباظة إلا باعتباره مؤلف أغنية اسمها «يا منية النفس» غناها الموسيقار محمد عبد الوهاب بعد أن عاث في بعض كلماتها فساداً .

الفهرس

البيت	الشاعر	الصفحة
ألا ليت البلاد لها قلوبٌ كما للناسِ، تنفطر التياعا	أحمد شوقي	21
هيهات تفلت من يدي أبداً ديوان شعري ضمّها ضمّا	أحمد الصافي النجفي	23
لم يبق للجوْر في أيامهم أثرٌ إلاّ الذي في عيون الغيد من حور	شاعر اندلسي	25
تنظّمنا الأيام شعراً وإنما تردّ المنايا ما نظمن إلى النثر	معروف الصافي	27
كم أتمنى لو بقيت لو أن السماء أمطرت . . وأمطرت . . وأمطرت	من قطعة هايكو يابانية	29
أواهُ لو عرف الشبابُ . . وآهٌ لو قدر المشيبُ	إسماعيل صبري	31
لكن فينا وإن شيبٌ بدا وطرٌ وليس فيكن بعد الشيب من وطرِ	أبو دلف العجلي	33
ليالِيَ أنت لها موطنٌ وإذ هي أفضل أوطانكا	عمر بن أبي ربيعة	35
وافتضاحي فيه . . ما أطيبه ! كان ما كان . . ويدري من درى	البهاء زهير	37

V E R S E

بيت

من مؤلّفات الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
الصادرة عن المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر

- ورود على ضفائر سناء [شعر]
- عقد من الحجارة [شعر]
- سحيم [شعر]
- الإلمام بغزل الفقهاء الأعلام [مختارات شعريّة]
- قراءة في وجه لندن [شعر]
- التنمية : الأسئلة الكبرى [بحث]
- الأسطورة : ديانا [مقالة]
- الغزو الثقافيّ ومقالات أخرى [مقالات]
- صوت من الخليج [مقالات]
- حياة في الإدارة [سيرة]
- مع ناجي ومعها [نقد]
- أبو شلاّخ البرّمائيّ [رواية]
- الأشجّ [شعر]
- أمريكا والسعوديّة [سياسة]
- سلمى [رواية قصيرة]
- بيت [مختارات شعريّة]

ISBN 9953-441-30-8

